

إصدارات لجنة التراث النفسي العربي

عدد 11



2014

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية



# الإنسان والنفس الإنسانية

## لدى علماء التراث

(مصادر مختارة)

د صالح بن إبراهيم الصنيع

## الفهرس

6	مقدمة
8	أولاً: الطبقة الأولى (1-300هـ)
8	1- أبـ بن المقفع (106-142هـ)
10	2- المباسـ بنـ (165-243هـ)
12	3- الجاحظ: (160 - 255هـ)
16	الطبقة الثانية: (301 - 600هـ)
16	1- أبـ بن مسكوية (325 - 421هـ)
19	2- أبـ بن حـامد الغزالي: (450-505هـ)
21	3- أبـ بن الجوزي: (510-597هـ)
25	ثالثاً: الطبقة الثالثة (601-900هـ)
25	1- فـنـر الدين الرازي (543-606هـ)
28	2- أبـ بن تيمية: (660-728هـ)
32	3- أبـ بن قيم الجوزية: (691-751هـ)
37	رابعاً: الطبقة الرابعة: (901-1200هـ)
37	1- السيوطي: (849-911هـ)
39	2- المغـ راوي: (920هـ)
40	3- أبـ بن حجر الهيتمي (909-973هـ)
43	خامساً: الطبقة الخامسة: (1201هـ - حتى عصرنا الحاضر)
43	1- القاسمي: (1283-1332هـ)
45	2- السعددي: (1307-1376هـ)
47	3- محمد قطـبـ: (1919م - معاصر)
51	خلاصة
52	المراجع

## الإنسان والنفس الإنسانية لدى علماء التراث

### ملخص

هدفت الدراسة إلى استعراض نماذج من تناول مجموعة من علماء التراث المسلمين لموضوع الإنسان والنفس الإنسانية. ووجد الباحث صعوبة في اختيار العلماء واستقر الرأي لديه بتقسيم العلماء على طبقات بحيث تغطي الطبقة ثلاثة قرون وفي كل طبقة تم اختيار ثلاثة علماء حسب التوزيع التالي:

أولاً: الطبقة الأولى (1-300هـ):

ابن المقفع (142هـ)، المحاسبي (243هـ)، الجاحظ (255هـ).

ثانياً: الطبقة الثانية (301-600هـ):

ابن مسكويه (421هـ)، أبو حامد الغزالي (505هـ)، ابن الجوزي (597هـ).

ثالثاً: الطبقة الثالثة (601-900هـ):

فخر الدين الرازي (606هـ)، ابن تيمية (728هـ)، ابن قيم الجوزية (751هـ).

رابعاً: الطبقة الرابعة (901-1200هـ):

السيوطي (911هـ)، المغراوي (920هـ)، ابن حجر الهيتمي (973هـ).

خامساً: الطبقة الخامسة (1201هـ فما بعدها):

القاسمي (1332هـ)، عبدالرحمن السعدي (1376هـ)، محمد قطب (معاصر).

وتم اختيار نماذج من كلام هؤلاء العلماء هؤلاء الإنسان والنفس الإنسانية، وختمت كل طبقة بتعليق للباحث. وأخيراً ختمت الورقة بالخلاصة التالية:

أن الإنسان مخلوق من  
عنصرين هما المادة  
(التدريج) والروح.  
وهما يحتاجان إلى ما  
يشبعهما، فالمادة تحتاج  
لحاجات الجسدية من  
غذاء وجنس وراحة وما  
يدخل فيها، وكذلك  
الروح تحتاج إلى إشباع  
عن طريق ما يأتي به  
الدين من محادثات  
وأخلاق

من خلال النماذج التي تم عرضها قد لا نستطيع تقديم صورة كاملة للملاح  
لنظرة علماء التراث النفسي للإنسان والنفس الإنسانية، لأن ذلك يحتاج مساحة  
أكبر نستطيع من خلالها عرض نماذج أكثر وتفصيلات أوسع تعكس الصورة  
بشكل قريب من ما قدموها في طروحاتهم، ولكن نظراً لمحدودية الصفحات  
المتاحة لهذا الورقة البحثية، ولصيق الوقت، نرجو أن نكون وفقنا في اختيار  
النماذج التي تعطي لمحات عن تصور هؤلاء العلماء للإنسان والنفس الإنسان،  
وربما أمكننا أن نلخص ملاح التصور هذا التصور في النقاط التالية:

(1) أن الإنسان مخلوق من عنصرين هما المادة (التراب) والروح. وهما  
يحتاجان إلى ما يشبعهما، فالمادة تحتاج لحاجات الجسدية من غذاء وجنس وراحة  
وما يدخل فيها، وكذلك الروح تحتاج إلى إشباع عن طريق ما يأتي به الدين من  
عبادات وأخلاق.

(2) أن مصادر المعرفة للإنسان تبدأ بالحواس ثم العقل ثم الوحي، ويكون  
الوحي هو المعيار لما يقبل ويرفض من المصدرين السابقين.

(3) إن النفس الإنسان لديه الاستعداد للخير والشر، ولكنها مفطورة على  
فطرة الخير المركوزة في الجبلية الإنسانية، ما لم يأتي ما يحرفها عن فطرتها من  
عوامل خارجية كالوالدين والشيطان ورفاق السوء.

(4) أن الأمراض النفسية لا تتوقف على ما يدرس حالياً في علم النفس بل  
يدخل فيها ما يعرف بأمراض الباطن أو أمراض القلوب والتي ورد لدى علماء  
المسلمين تناول لها في الوقاية والعلاج مما لا يتوفر لدى الباحثين الغربيين.

العديد من علماء المسلمين يستفيدون مما يورده غير المسلمين فيما يتعلق  
بالإنسان والنفس الإنسان وقوى النفس، ثم يضيفون ما يقدمه لهم الوحي مما  
معارف توسع آفاق تناولهم لتلك الموضوعات وتنقلها إلى فضاءات أرحب وأكثر  
قرباً من واقع الإنسان والنفس الإنسانية.

أن مصادر المعرفة  
للإنسان تبدأ بالحواس  
ثم العقل ثم الوحي،  
ويكون الوحي هو  
المعيار لما يقبل  
ويرفض من المصدرين  
السابقين

إن النفس الإنسان لديه  
الاستعداد للخير والشر،  
ولكنها مفطورة على  
فطرة الخير المركوزة  
في الجبلية الإنسانية، ما  
لم يأتي ما يحرفها عن  
فطرتها من عوامل  
خارجية كالوالدين  
والشيطان ورفاق السوء

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على بينا محمد وعلى آله وصحبه  
ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

الإنسان هو المخلوق المكرم من لدى الله سبحانه وتعالى عندما يقوم بشريعة  
الله في أرضه. والكتابة عنه تحفها كثير من الصعوبات والمشاق، بناءً على تعدد  
جوانب الإنسان وعظم مسؤولياته عن ذاته ومن حوله من البشر وسائر  
المخلوقات. وعندما طلب من الباحث المشاركة بورقة بحثية عن "الإنسان لدى  
علماء التراث" وجد صعوبة في تحديد المراد، لكون الإنسان متعدد الجوانب  
(جوانب روحية وجسمية وعقلية ووجدانية واجتماعية) ولكون علماء التراث  
يصعب حصرهم. ولكوننا نعيش في القرن الخامس عشر الهجري، فنحن أمام  
خمسة عشر قرناً مليئة بالعلماء الأفاضل. وفكر الباحث بمنهجية يتبعها لاختيار  
نماذج من تراث هؤلاء العلماء، فوجد المنهجية التي سار عليها الدكتور عبدالله  
الصبيح في تقسيم علماء التراث إلى ثلاثة اتجاهات:

- 1) الاتجاه الأثري: يعني هذا الاتجاه في التراث النفسي بما ورد في القرآن الكريم  
والسنة النبوية مما له علاقة بالنفوس ويفسر هذه النصوص ضمن منهج أهل السنة والجماعة.
  - 2) الاتجاه الصوفي: يعني هذا الاتجاه بتصفية النفس وتركبتها عند بدايته، ثم  
تحول من حركة زهد تعنتي بالعبادة وتقوم على المجاهدة إلى حركة فلسفية فكرية.
  - 3) الاتجاه الفلسفي: يعني هذا الاتجاه في الكشف عن الحقيقة على المنطق  
الصوري أو القياسي أو الاستدلالي البرهاني (الأرسطي) (الصبيح، 1420هـ، 218-238).
- وهذا التقسيم تناولته الباحث في كتاب سابق له (المدخل إلى التأصيل الإسلامي  
لعلم النفس، 1428هـ) وبين جدته ولكن أعترض عليه من حيث صعوبة تصنيف  
بعض العلماء في واحد من الاتجاهات الثلاثة حيث نتاجه العلمي يمكن أن يدخله  
في اتجاهين من الاتجاهات المذكورة.

وبدأ للباحث أن يسلك منهجية تقوم على تقسيم القرون الهجرية إلى طبقات كل  
ثلاثة قرون طبقة، ورجح اختيار عدد ثلاثة قرون تيمن بحديث رسول الله صلى  
الله عليه وآله وسلم الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين

الأعراض النفسية لا  
تتوقف على ما يدرس  
حالياً فهي علم النفس بل  
يدخل فيها ما يعرفه  
بأمراض الباطن أو  
أمراض القلوب والتي  
ورد لدى علماء  
المسلمين تناول لها في  
الوقاية والعلاج مما لا  
يتوفر لدى الباحثين  
الغربيين

رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (( خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ))(صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب9). بحيث أصبح لدينا خمس طبقات وفي كل طبقة يتم اختيار ثلاثة علماء، وكل عالم تؤخذ نماذج من كتاباته حول الإنسان والنفس الإنسانية. وعندما أراد الباحث أن يختار علماء من كل قرن بحث عن المصادر فوجد كتب السير، ومن أشهرها كتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبي (748هـ) (16 جزء) وكتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي وفيهما سير عدد كبير من العلماء. ونظراً لأن الكتّابين لا يتعديان القرن السابع، وجد الباحث كتاب "المختار المصون من أعلام القرون (من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر) لمحمد حسن موسى (3 مجلدات) فتم اختيار بعض العلماء منه، ثم وجد الباحث في مكتبته الخاصة كتاب "دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث" (3 مجلدات) الصادر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي (1412هـ) والذي بدأ بعلماء من القرن الأول وأنتهي بعالم معاصر، فقرر الباحث أن يختار العلماء في الطبقات الأولى والثانية والثالثة من المصادر الثلاثة السابقة، ثم استكمل اختيار علماء الطبقة الرابعة وكذلك عالم من الطبقة الخامسة من المصدر الأخير، ثم أختار الباحث عالمين لاستكمال علماء الطبقة الخامسة. وهذا توزيع العلماء على الطبقات الخمس:

أولاً: الطبقة الأولى (1-300هـ):

ابن المقفع (142هـ)، المحاسبي (243هـ)، الجاحظ (255هـ).

ثانياً: الطبقة الثانية (301-600هـ):

ابن مسكويه (421هـ)، أبو حامد الغزالي (505هـ)، ابن الجوزي (597هـ).

ثالثاً: الطبقة الثالثة (601-900هـ):

فخر الدين الرازي (606هـ)، ابن تيمية (728هـ)، ابن قيم الجوزية (751هـ).

رابعاً: الطبقة الرابعة (901-1200هـ):

السيوطي (911هـ)، المغراوي (920هـ)، أين حجر الهيثمي (973هـ).

خامساً: الطبقة الخامسة (1201هـ فما بعدها):

القاسمي (1332هـ)، عبدالرحمن السعدي (1376هـ)، محمد قطب (معاصر).  
وسنحاول في الصفحات التالية تقديم نماذج من كتابات كل عالم من هؤلاء العلماء حول الإنسان والنفس الإنسانية، مسبوقة بتعريف مختصر به.

الاتجاه الأثري: يعني  
هذا الاتجاه في  
التراث النفسي وما  
ورد في القرآن  
الكريم والسنة النبوية  
مما له علاقة بالنفس  
ويفسر هذه النصوص  
ضمن منهج أهل السنة  
والجماعة

أولاً: الطبقة الأولى (1-300هـ):

## 1- ابن المقفع (106-142هـ):

هو عبدالله بن المقفع: أصله من فارس، ولد في العراق (106هـ) مجوسياً وأسلم على يد عيسى بن علي (هم السفاح) وولي كتابة الديوان للمصور العباس، وترجم له كتب أرسطو طاليس الثلاثة في المنطق وكتاب المدخل إلى علم المنطق، وترجم عن الفارسية كتاب كليلة ودمنة، ومن كتبه الأدب الصغير والأدب الكبير، والصحابة، واليتيمة. ومات ابن المقفع مقتولاً عام 142هـ. يتحدث ابن المقفع على أهمية محاسبة النفس وعدم تركها لهواها المهلكة له دنيا وآخره، فيقول:

(على العاقل مخاصمة نفسه ومحاسبتها والقضاء عليها والإثابة والتكيل بها. أما المحاسب، فيحاسبها بما لها، فإنه لا مال لها إلا أيامها المعدودة التي ما ذهب منها لم يستخلف كما تستخلف النفقة، وما جعل منها في الباطل لم يرجع إلى الحق، فينتبه لهذه المحاسبة عند الحول إذا حال (نهاية العام)، والشهر إذا انقضى، واليوم إذا ولى، فينظر فيما أفنى من ذلك، وما كسب لنفسه، وما اكتسب عليها في أمر الدين وأمر الدنيا. فيجمع ذلك في كتاب فيه إحصاء/ وجد، وتذكير للأمر، وتكيت للنفس وتذليل لها حتى تعترف وتذعن.

وأما الخصومة، فإن من طباع النفس الأمرة بالسوء أن تدعي المعاذير فيما مضى، والأمانى فيما بقي، فيرد عليها معاذيرها وعللها وشبهاتها. وأما القضاء، فإنه يحكم فيما أرادت من ذلك على السيئة بأنها فاضحة مردية موبقة، وللحسنة بأنها زائنة منجية مبرحة.

وأما الإثابة والتكيل، فإنه يسر نفسه بتذكر تلك الحسنات ورجاء عواقبها وتأميل فضلها، ويعاقب نفسه بالتذكر للسيئات والتبشع بها والاقشعرار منها والحزن عليها. فأفضل الناس ذوي الألباب أشدهم لنفسه بهذا أخذاً (إلزام نفسه) وأقلهم عنها فيه فترة (تهاون وتقصير)) (الأدب الصغير والأدب الكبير، ص52-53).

يرسم ابن المقفع في هذا المقطع صورة عن ما يجب على المرء أن يعمل مع نفسه، بحسن قيادتها نحو الخير وأبعادها عن الشر باستخدام أساليب الثواب والعقاب المناسبة، حتى تنقاد له وتسير على الطريق الصحيح، ويتحكم فيها بدلاً عن تتحكم فيه.

الاتجاه الصوفي: يعني هذا الاتجاه بتصفية النفس وتزكيتها عند بدايته، ثم تحول من حركة زهد تعتني بالعبادة وتقوم على المجاهدة إلى حركة فلسفية فكرية

الاتجاه الفلسفي: يعني هذا الاتجاه في الكشف عن الحقيقة على المنطق الصوري أو القياسي أو الاستدلالي البرهاني



وفي موضع آخر يذكر ابن المقفع لزوم إحصاء محاسن النفس ومساوئها، فيقول: (وعلى العاقل أن يحصي على نفسه مساويها في الدين وفي الأخلاق وفي الآداب، فيجمع ذلك كله في صدره أو في كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه، ويكلفها إصلاحه، ويوظف ذلك عليها توظيفاً من إصلاح الخلة والخلتين والخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر. فكلما أصلح شيئاً محاه، وكلما نظر إلى محو استبشر، وكلما نظر إلى ثابت اكتأب).

وعلى العاقل أن يتفقد محاسن الناس ويحفظها على نفسه، ويتعهدا بذلك مثل الذي وصفنا في إصلاح المساوي. وعلى العاقل أن لا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس، ما استطاع، إلا ذا فضل في العلم والدين والأخلاق فيأخذ عنه، أو موافقاً له على إصلاح ذلك فيؤيد ما عنده، وإن لم يكن له عليه فضل. فإن الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمى إلا بالموافقين والمؤيدين. وليس لذي الفضل قريب ولا حميم أقرب إليه ممن وافقه على صالح الخصال فزاده وثبته) (الأدب الصغير والأدب الكبير، ص54-55).

ويتحدث عن حاجات الجسد، وأهمية ما ينفعه ويضره فيقول:

(وأصل الأمر في إصلاح الجسد إلا تحمل عليه من المآكل والمشرب واللباه إلا خفافاً، وأن قدرت على أن تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع بذلك فهو أفضل) (البيئمة، ص16).

ونختم بمقطع يتحدث فيه ابن المقفع عن أربع ساعات ضرورية للإنسان لا بد له منها لإصلاح نفسه في العاجل والأجل، حيث يقول:

(وعلى العاقل، ما لم يكن مغلوباً على نفسه، أن لا يشغله شغل عن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى أخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه في أمره، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون على الساعات الأخرى، وإن استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل بلغة) (الأدب الصغير والأدب الكبير، ص55-56).

وتطبيق مبدأ الساعات الأربع يكفل للإنسان رسم معالم حياة سعيدة في الدنيا والآخرة.

للباحث أن يسلك منهجية تقوم على تقسيم القرون الصخرية إلى طبقات كل ثلاثة قرون طبقة

على العاقل مخاصمة نفسه ومحاسبتها والقضاء عليها والإثابة والتنكيل بها. أما المحاسب، فيحاسبها بما لها، فإنه لا مال لها إلا أيامها المحدودة التي ما ذهب منها لم يستخلفه كما تستخلفه النفقة، وما جعل منها في الباطل لم يرجع إلى الحق، فينتبه لهذه المحاسبة عند العول إذا حال (بن المقفع)

## 2-المعاصر (165-243هـ):

هو أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي. ولد في البصرة عام 165هـ. عرف بالمحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه، وقيل: كانت له حصى يعدها ويحسبها حالة الذكر. عاش في عصر تيارات فكرية مختلفة متصارعة كالفردية والجهمية والمعتزلة إلى جانب أهل السنة والجماعة. وقد عرف عنه الزهد حتى أنه لم يرث من مال والده شيئاً لأنه يرى والده مات على مذهب باطل، وقال: أهل ملتين لا يتوارثان. عرف بالتصوف والزهد مع محاسبة النفس، كما عرف بتمسكه بالسنة. له العديد من المؤلفات منها: الوصايا، المسائل في أعمال القلوب والجوارح، والمكاسب، والعقل، ومعاتبة النفس، وآداب النفوس، والرعاية لحقوق الله. وتوفي سنة 143هـ في بغداد.

تحدث المحاسبي عن ضرورة تيقض الإنسان إلى مراقبة قلبه لينجو في الدنيا والآخرة فيقول:

( ثلاث خلال تلزمها قلبك:

الخلعة الأولى: الإيمان بأن المقدر يأتي، وأن ما لم يقدر لا تتاله، والغنى بالله. فمن ألزم قلبه ذلك أورثه ثلاث خصال: أحدها: أن يأمن قلبه أن يفوته ما قدر له. والثانية: أن ييأس أن ينال ما لم يقدر له. فمن ألزم قلبه أن رزقه لا يفوته، والإيأس أن ينال ما لم يقدر له استغنى، وقل همه وخضوعه للخلق، والمدارة لهم، لأن ينال منهم منفعة، فهذا المستغنى عن غير الله.

الخلعة الثانية: الحذر من الله تعالى أن يغفل فيزل، فيسقط من عينه، لأن الحذر يوقظه، والتيقظ يذكره، والذكر ينبهه، حتى يراقب مليكه.

والخلعة الثالثة: ذكر اطلاع الله عليه في ضميره، وجوارحه، فإن ذلك يورثه الحياء من الله عز وجل. فإن عرض له شيء كرهه ربه ذكر النظر، وخاف المقت إن ركن إلى ذلك) (معاتبة النفس، ص 34-36).

يرسم المحاسبي ما يصلح الإنسان والنفس الإنسانية فيقول:

( أعلم يا أخي أن الله جل ذكره قد افترض فرائض ظاهرة وباطنه، وشرع لك شرائع، ذلك عليها، وأمرك بها، ووعدك على حسن أدائها جزيل الثواب، وأوعدك

يرسم ابن المقفع في  
هذا المقطع صورة من  
ما يجب على المرء أن  
يعمله مع نفسه، بحسن  
قيادتها نحو الخير  
وأبعادها عن الشر  
باستخدام أساليب  
الثواب والعقاب  
المناسبة، حتى تنقاد له  
وتسير على الطريق  
الصحيح، ويتحكم فيها  
بدلاً من تتحكم فيه

على تضييعها أليم العقاب، رحمة لك، وحذرك نفسه شفقة منه عليك ... فإذا أنت عرفت الحق، فأقررت به، وذلك الحق على أن الله عليك من الفرائض الظاهرة فرضاً باطناً، هو: تصحيح السرائر، واستقامة الإرادة، وصدق النية، ومفاتيحة الهمة، ونقاء الضمير، من كل ما يكره الله، وعقد الندم على جميع ما مضى من التوائب بالقلب والجوارح على ما نهى الله عنه)(آداب النفوس، ص 32-34).

ويؤكد حرص النفس على الدنيا ولزوم مقاومة هواها وتعليقها بالآخرة لتكون النتيجة النجاة والفوز، فيقول:

(فإذا قطع عليها العبد الطمع من أسباب الدنيا، وغلب بقله هواها، رجعت بطمعها إلى أسباب الآخرة لا محالة، لأنها بنيت على الطمع ... فجدت في طلبها واجتهدت، وعزفت عن الدنيا، وباينت الهوى، وخالفت العدو، وتبعث العلم، وكانت مطبة للعقل، صابرة على ما يدل عليه الحق، فنجت وأنجت،) (آداب النفوس، ص 39).

ويعرج المحاسبي على الشيطان وأنه أضر ما يكون على الإنسان والنفس الإنسانية فيقول:

(وإن إبليس إنما يسور عليك في الآثام من وسوسة نفسك، وخراب قلبك. وخرابه إنما يكون إذا كان فارغاً من الخوف اللازم، والحزن الدائم، فحينئذ ينفث فيه بالوسوسة لأمال الدنيا، والجمع لها، مخافة فقرها، مع لزوم طول الأمل لقلبك، وأعراضه عن الله تعالى، وانقطاع مواد عظمة الله منه، وفراغه من الهيبة والحياء منه. ... يرى العبد بنور قلبه مداخل إبليس، فيرميه بالإنكار لما يدعو إليه، ويعتصم بما أيده الله به من نور قلبه، فيدخره عنه، فولّي الخبيث إلى قلب قد فقد الخوف، فخرّب وأظلم، فلا نور فيه)(آداب النفوس، ص 40-41).

ويبين المحاسبي رغبة النفس الإنسانية بعاجل حظ الدنيا وغفلتها عن الآخرة فيقول:

(أن تعرف كيف بنيت في طبائعها وهيئتها. وكيف استتقالها لطريقة نجاتها من غير بغض للنجاة، ولكن كراهية لحمل المؤمن، (وكراهية) لترك محبوبها من

أصل الأمر هي إصلاح الجسد إلا تحمل عليه من المآكل والمشاريب والباه إلا خفافاً، وأن قدرته على أن تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع بذلك فهو أفضل (بن المقفع)

عاجل الدنيا... هذا مع إقرارها بأن ثواب الآخرة وعقابها أعظم وأبقى، وأن محبوبات الدنيا ومكروها دنئ فان(المسائل في أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل، ص148).

ويؤكد المحاسبي أن الإنسان يلزم معرفة ربه وتحقيق العبودية من وجوده في هذه الدنيا فيقول:

(أن تعلم أنك عبد مريبوب، لا نجاة لك إلا بتقوى سيدك جل وعز ومولاك، ولا هلكة عليك بعدها ... فإذا علمت ذلك أنه لا نجاة للمريبوب المتعبد إلا بطاعة ربه ومولاه، وأن الدليل على طاعة ربه ومولاه عز وجل العلم ثم العمل بأمره ونهيه، في مواضعه وعمله وأسبابه، ولن يجد ذلك إلا في كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، لأن الطاعة سبيل النجاة، والعلم هو الدليل على السبيل. فأصل الطاعة: الورع، وأصل الورع: التقوى، وأصل التقوى: محاسبة النفس، وأصل محاسبة النفس: الخوف والرجاء. والدليل على محاسبة النفس: العلم بما تعبد الله عز وجل به خلقه في قلوبهم وجوارحهم. وكذلك أهل الدنيا، لا يعالجون الأعمال، ولا يتكفون التجارات، إلا ببصر قد تقدم منهم، وعلم بما يعملون، وبما يبتاعون ويبيعون)(الرعاية لحقوق الله، ص63-64).

### 3- الجاحظ: (160 – 255هـ):

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني، الملقب بالجاحظ، لحوظ عينيه أي بارزتين. ولد بالبصرة سنة 160هـ في زمن الدولة العباسية وعاش وتعلم على علماءها، وكان شيخه في الاعتزال أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام. أطلع على كتب الفلاسفة والأطباء والمتكلمين، وأطلع على الثقافتين اليونانية والفارسية. أشتهر بالبلاغة وعمق الكتابة اللغوية، كما كتب عن كل ما تقع عليه حواسه من الحيوان والنبات والإنسان. له مؤلفات كثيرة تربو على مائة وخمسين مؤلفاً. لعل من أشهرها: الحيوان، والبخلاء، والبيان والتبيين، ودلائل النبوة، وكتاب الطفيليين، والفرق بين النبي والمنتبي. توفي بالبصرة سنة 255هـ.

على العاقل، ما لم يكن مغلوباً على نفسه، أن لا يشغله شغل عن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفحص فيها إلى أخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن محبوبه وينصونه في أمره، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لختها مما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون على الساعات الأخر، وإن استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل بلغة ( بن المقفع)

يتحدث الجاحظ عن الطبيعة الإنسانية المحتاجة للآخرين حتى تعيش لكونه صفة لازمة له فيقول:

(ثم أعلم - رحمك الله - أن حاجة بعض الناس إلى بعض صفة لازمة في طبائعهم، وخلفة قائمة في جواهرهم، وثابتة لا تزالهم، ومحيطة بجماعاتهم، ومشمتملة على أديانهم وأقاصمهم ... ولم يسخر لهم جميع خلقه إلا وهم يحتاجون إلى الارتفاق بجميع خلقه. وجعل الحاجة حاجتين: إحداهما قوام وقوت، والأخرى لذة وإمتاع، وازدياد في الآلة، وفي كل ما أجدل النفوس وجمع لهم العتاد. وذلك المقدار من جميع الصنفين وفق لكثرة حاجاتهم وشهواتهم، وعلى قدر اتساع معرفتهم وبعد غورهم، وعلى قدر احتمال طبع البشرية، وفترة الإنسانية) (تهذيب الحيوان، ج1، ص6-7).

ويتحدث عن مزج الخير بالشر في الإنسان والكون كله فيقول:  
(أعلم أن المصلحة في ابتداء أمر الدنيا إلى انقضاء مدتها، امتزاج الخير بالشر، والضار بالنافع، والمكروه بالسار، والضعة بالرفعة، والكثرة بالقلّة. ولو كان الشر صرفاً هلك الخلق، أو كان الخير محضاً سقطت المحنة، وتقطعت أسباب الفكرة. ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة) (تهذيب الحيوان، ج1، ص23).

يحذر الجاحظ من صفة نفسية سيئة هي البخل، وأنه يحتاج لمجاهدة النفس للتخلص منه فيقول:

(كعجبي ممن فد فطن إلى لبخله وعرف إفراط شحه، وهو في ذلك يجاهد نفسه ويغالب طبعه، ولربما ظن أن قد فطن له وعرف ما عنده، فموه شيئاً لا يقبل التمويه، ووقع خرقاً لا يقبل الرقع. فلو أنه كما فطن لعيبه وفطن لمن فطن لعيبه، فطن لضعه عن علاج نفسه وتقويم أخلاطه، وعن استرجاع ما سلف من عاداته، وعن قلبه أخلاقه المدخوله إلى أن تعود سليمة، لترك تكلف ما لا يستطيعه ولربح الإنفاق على من يذمه، ولما وضع على نفسه الرقباء ... وأن كانت الحروب بينك وبين طباعك سجلاً وكانت أسبابكما أمثلاً وأشكالاً، أوجب الحزم إلى ترك التعرض وأوجب الاحتياط إلى رفع التكلف، ورأيت أن من حصل السلامة من الذم

الإيمان بأن المقدور يأتي، وأن ما لم يقدر لا تناله، والغنى بالله. فمن ألزم قلبه ذلك أوره ثلث خصال: أحدها: أن يأمن قلبه أن يفوته ما قدر له. والثانية: أن يياس أن ينال ما لم يقدر له. فمن ألزم قلبه أن رزقه لا يفوته، والإياس أن ينال ما لم يقدر له استغنى، وقل همه وخضوعه للخلق، والمداورة لهم، لأن ينال منهم منفعة. فهذا المستغنى عن خبر الله

فقد غنم، وأن من أثر الثقة على التخريب فقد حزم، وذكرت أنك إلى معرفة هذا الباب أحوج، وأن ذا المروءة إلى هذا العلم أفقر)(البخلاء، ص 3-4).

ويقدم الجاحظ في كتابه المحاسن والأضداد وصفاً لعدد من أخلاق الإنسان بشكل أضداد مثل الشجاعة والجبن والصدق والكذب، وفي كل صفة يورد ما تيسر له من أحاديث نبوية شريفة أو قصص أو أبيات شعر نبين ما يريد من دعوة إلى خلق أو تحذير من آخر(المحاسن والأضداد).

ويقرر الجاحظ مجموعة من الأخلاق في تعامل الإنسان مع غيره عندما يكون يطلب شيئاً (وهو الأمل) أو يطلب منه شيء (وهو المأمول) فيصف ذلك بقوله:

(على الأمل بل على الناس أجمعين صون الوجه عن المسألة ورجاء الله عز وجل واليأس من الناس، فإن اضطر إلى ذلك فالإجمال في الطلب والتلطف للمأمول بعد الوسيلة بدعاء يبعثه على الإسعاف، فإنت أخرت الحاجة فالتؤدة والرفق وتجنب العجلة والخرق، ثم الحث في الطلب والمخاطرة وترك التسوية والتواني، ثم حسن الاقتضاء، ثم استبطاء المواعيد، ثم الإلحاح والوعيد. وليس بعدهما إلا الشكر إن أسعف، ونشر صنيعته إن أولى، والحمد والمدح إن أنعم. وعليه أن لا يلوم مع العذر ويحتاج إلى ذم المستند، ومن منع مع قدرة فعليه التلطف في هذه المعاني، وليس عليه أن يساعده القدر .

وعلى المأمول أن لا يماطل بعد الرغبة في اصطناع المعروف، ولقاء الأمل بالبشر، وترك التجهم، والإعطاء قبل المسألة، والمبادرة إلى قضاء الحاجة قبل فوت القدرة، وشكر السائل على إنبساطه، وإيضاح العذر إن تعذرت الحاجة، والتلطف في الاحتجاج بالمدافعة، وترك الوعد حتى يجد إنجازاً، واليأس قبل المطل، ومنع غير المستحق. وعليه أن لا يفسد الصنيعة بالمن إلا أن أكفره أوليها، وفي الأمل نلة وحيرة)(الأمل والمأمول، ص2).

ويتحدث الجاحظ عن خصيصة من خصائص الإنسان وهي التصاقه بوطنه وتعلقه به فيقول:

العذر من الله تعالى  
أن يغفل فيبزل، فيسقط  
من محبته، لأن العذر  
يقوته، والتهذيب  
يذكره، والذكر  
ينبئه، حتى يراهبه  
مليكه(المحاسبي)

ذكر اطلاع الله عليه  
في ضميره، وجوارحه،  
فإن ذلك يورثه الحياء  
من الله عز وجل. فإن  
عرض له شيء كرهه  
ربه ذكر النظر،  
وخافه المقتد إن ركن  
إلى ذلك(المحاسبي)

( قالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقّة، وإلى مسقط رأسها تواقّة. وقالت الهند: حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك – لأنّ غذاءك منها وأنت جنين – وغذاءهما منه ... وقال آخر: تربة الصبا تغرس في القلب حرمة وحلاوة – كما تغرس الولادة في القلب رقة وحفاوة ... وقال آخر: عسرك في دارك أعز لك من يسرك في غربتك ... وقال بعض الفلاسفة: فطرة الرجل معجونة بحب الوطن)(الحنين إلى الأوطان، ص 7-10).

ويؤكد الجاحظ على أن من أول أولويات الإنسان معرفة الله وكيف خلق الإنسان في أحسن التقويم وما يترتب على ذلك من طاعة الله ثم يعلم ما علمه للآخرين لتعزيز الإيمان في النفوس ومقاومة الشيطان الذي يريد صرف الإنسان عن طاعة الله فيقول:

( فحق على من أنعم الله عليه بمعرفته ووقفه لتأمل هذه الخلقة والوقوف على ما في خلقها من لطف التدبير و صواب التقدير بالدلائل القائمة فيها أن لا تقصر في إظهار ما بلغه علمه من ذلك. بل يجهد في نشره وإذاعته وإيراده على المسامع والأذهان لتقوى دواعي الإيمان وتخيب مكيده الشيطان في تضليل الوهم، محتسباً الثواب في ذلك واثقاً بعون الله وتأييده إياه)(الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، ص 5).

#### تعليق:

من خلال المقتطفات التي عرضناها لعلماء الطبقة الأولى يتبين أن ابن المقفع والحارث المحاسبي غلب على طرحهما الجانب الوعظي الذي يؤكد على محاسبة النفس لكي تتروض وتسير وفق ما أراد الله لها أن تكون عليه في هذه الحياة الدنيا، وضرورة ترغيب الإنسان بالآخرة وزهده بالدنيا وزخرفها، والتحذير من هوى النفس والشيطان المؤديان إلى هلاك الإنسان. بينما الجاحظ غلب على طرحه الجانب العقلي الذي يقارن بين الأمور والأخلاق وكيف أن على الإنسان أن يختار بعقله ما هو حسن ويترك ما هو قبيح من الأعمال والأخلاق. وكذلك كيفية تعامل الإنسان مع غيره في الأخذ والعطاء بطرق منطقية تحقق المطلوب لكونه جزء من وطن يتشارك الأفراد فيه محبة وعطاءً.

إذا علمت ذلك أنه لا نجا للمربوب المتعبد إلا بطاعة ربه ومولاه، وأن الحليل على طاعة ربه ومولاه عز وجل العلم ثم العمل بأمره ونهيه، فهي مواضع وعمله وأسبابه

الطبقة الثانية: (301 – 600هـ):

### 1- ابن مسكوية (325 – 421هـ):

هو أحمد بن محمد بن يعقوب مسكوية، ولد بالري سنة 325هـ. وهو مؤرخ بحائثة، أصله من الري وسكن أصفهان وتوفي بها. اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق مدة، ثم أولع بالتاريخ والأدب. عمل خازن لمكتبة ابن العميد واستفاد منها الكثير. له العديد من المؤلفات منها: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، والفوز الأصغر، وترتيب السعادة، وتجار الأمم. وتوفي في أصفهان سنة 421هـ.

يبين ابن مسكوية أن النفس البشرية ليست جسماً ولا جزءاً من جسم فيقول:

(إنما وجدنا في الإنسان شيئاً ما يصاد أفعال الأجسام وأجزاء الأجسام بحده وخواصه، وله أيضاً تضاد أفعال الجسم وخواصه، حتى لا يشاركه في حال من الأحوال. وكذلك نجده يباين الأعراض ويضادها كلها غاية المباينة. ثم وجدنا هذه المباينة والمضادة منه للأجسام والأعراض إنما هي من حيث كانت الأجسام أجساماً والأعراض أعراضاً، حكماً بأن هذا الشيء ليس بجسم ولا جزءاً من جسم ولا عرض، وذلك أنه لا يستحيل ولا يتغير، وأيضاً فإنه يدرك جميع الأشياء بالسوية ولا يلحقه فتور ولا كلال ولا نقص ... وأيضاً فإن تشوقها إلى ما ليس من طباع البدن وحرصها على معرفة حقائق الأمور الإلهية وميلها إلى الأمور التي هي أفضل من الأمور الجسمية، وإيثارها لها وانصرافها عن الأمور واللذات الجسمانية، يدلنا دلالة واضحة أنها جوهر أعلى وأكرم جداً من الأمور الجسمانية لأنه لا يمكن في شيء من الأشياء أن يتشوق ما ليس من طباعه وطبيعته، ولا أن ينصرف هما يكمل ذاته، ويقوم جوهره) (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص29-31).

ويتحدث ابن مسكوية عن خطأ الحواس وأن الذي يقرر هذه هو النفس فيقول:

( وأيضاً فإن الحواس تدرك المحسوسات فقط، وأما النفس فإنها تدرك أسباب الاتفاقات وأسباب الاختلافات التي من المحسوسات، وهي معقولاتها التي لا

الطائفة سبيل النجاة،  
والعلم هو الدليل على  
السبيل. فأصل الطائفة:  
الورع، وأصل الورع:  
التقوى. وأصل التقوى:  
محااسبة النفس. وأصل  
محااسبة النفس: الخوف  
والرجاء. والدليل على  
محااسبة النفس: العلم  
بما تعبد الله عز وجل به  
خلقه في قلوبهم  
وجوارحهم.



تستعين عليها بشئ من الجسم ولا آثار الجسم. وكذلك إذا حكمت على الحس أنه صدق أو كذب فليست تأخذ هذا الحكم من الحس، لأن الحس لا يصاد نفسه في ما يحكم فيه. ونحن نجد النفس العاقلة فينا تترك شيئاً كثيراً من خطأ الحواس في مبادئ أفعالها وترد عليها إحكامها. من ذلك أن البصر يخطئ في ما يراه من قرب ومن بعد ... فإذن علمها بأنها علمت ليس بمأخوذ من علم آخر البتة، بل هو من ذاتها وجوهرها، أعني العقل (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص32-33).

وبيّن ابن مسكويه أن للنفس ثلاث قوى (فكرية وغضبية وشهوية) فيقول: (وقد تبين للناظر في أمر هذه النفس وقواها، أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام، أعني:

(القوة) التي بها الفكر والتمييز والنظر في حقائق الأمور.  
(والقوة) التي بها يكون الغضب والنجدة، والإقدام على الأهوال والشوق إلى التسلط والترفع، وضروب الكرامات.

(والقوة) التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاء والشوق إلى الملاذ، التي في المآكل والمشرب والمناجح وشروب اللذات الحسية، وهذه الثلاث متباينة. ويعلم من ذلك أن بعضها أذا قوي أضر بالآخر، وربما أبطأ إحداها فعل الأخرى، وربما جعلت نفوساً وربما جعلت قوى لنفس واحدة) (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص37).

ويتحول ابن مسكويه إلى أخلاق الإنسان وأن منها ما هو طبعي وراثي ومنها ما هو مكتسب فيقول:

(الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية. وهذه الحال تنقسم إلى قسمين:

منها ما يكرن طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شئ نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شئ كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر سمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شئ يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شئ يناله. ومنها مل يكون

أعلم أن المصلحة هي  
ابتداء أمر الدنيا إلى  
انقضاء مدتها، امتزاج  
الخير بالشر، والضرار  
بالنافع، والمكروه  
بالسار، والصحة بالرفعة،  
والخثرة بالقلّة. ولو  
كان الشر صرفاً هلك  
الخلق، أو كان الخير  
محضاً سقطت المنة،  
وتقطعت أسباب  
الفكرة. ومع عدم  
الفكرة يكون عدم  
الحكمة (الجاحظ)

مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدوءه الفكر، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكه وخلقاً) (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص51).  
ويتحدث عن إكساب الطفل الأخلاق الحسنة عن طريق القدوة ومدح أعمال الطفل الحسنة فيقول:

(فالأولى بمثل هذه النفس أن تتبه أبدأً على حب الكرامة، ولا سيما ما يحصل له منها بالدين دون المال، وبلزوم سننه ووظائفه، ثم يمدح الأخيار عنده ويمدح هو في نفسه إذا ظهر شيء جميل منه، ويخوف من المذمة على أنى قبيح يظهر منه، ويؤاخذ بأشتهائه للمآكل والمشارب والملابس الفاخرة، ويزين عنده خلف النفس والترفع عن الحرص في المآكل خاصة وللذات عامة) (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص70).

ويذكر ابن مسكوية إصابة الإنسان بالأمراض النفسية كما يصاب بالأمراض الجسمية، فيقول:

(وذلك إنا كما نرى المريض من جهة بدنه لا سيما أن كان سبب أمراضه أحد الجزأين الشريفين، أعني الدماغ والقلب، يتغير عقله ويمرض حتى ينكر ذهنه وفكره وتخلبه وسائر قوى نفسه الشريفة، ويحس هو من نفسه بذلك. كذلك أيضاً نرى المريض من جهة نفسه إما بالغضب وإما بالحزن، وإما بالعشق وإما بالشهوات الهائجة، به تتغير صورة بدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر ويحمر ويهزل ويسمن، ويلحقها ضروب التغير المشاهدة بالحس) (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص151).

ويتحدث ابن مسكوية عن السعادة فيقول:

(ولما نظروا في غاية الإنسان وكماله الأقرب وجدوا الناس مختلفين ورأوهم مع اختلافهم لا يشكون في أن لهم غاية وإنما اختلافهم في أي الغايات هي وكل واحد منهم قد نصب غاية لنفسه يقصدها بسعيه ويسميها سعادة له، كمن يسعى للذة أو للثروة أو للصحة أو للغلبة أو للعلم وإنما أتوا في هذا الاختلاف من قبل أنهم لم يلاحظوا الكمال البعيد أنى السعادة القصوى) (السعادة ص41).

ونختم بعبارة لأبن مسكوية حول سعادة الإنسان بارتقاعه وقربه من الله وشقاوته بنزوله وبعده عن الله فيقول:

أن كانت الحروب  
بينك وبين طابعك  
سبباً وكانت أسبابكما  
أمثالاً وأشكالاً. أجبت  
العزم إلى ترك  
التعرض وأجبت  
الاحتياط إلى رفع  
التكلف. ورأيت أن  
من حصل السلامة من  
الخط فقد ختم. وأن من  
أثر الثقة على التغير  
فقد حزم. وذكرت  
أنك إلى معرفة هذا  
الباب أروع. وأن ذا  
المروة إلى هذا العلم  
أفقر (الجاحظ)

(أن للنفس جهتين من الحركة: إحداهما نحو ذاتها وهي التي تحركها نحو العقل الذي هو أول مبدع لله تعالى، والذي لا تتقطع مادة مباديه بوجه ولا سبب، والأخرى نحو الآلات الطبيعية لتكمل الأجرام الهيولانية، علم أن أحدى الجهتين هي التي تسوقها إلى سعادتها وبقائها اللائق بها، والأخرى هي التي تحطها وتخرجها عن ذاتها... وبالجملته فإن الجهة الأولى من الحركة كلما أمعنت فيها النفس توحدت بها، وتداخلت إلى ذاتها، ونوجت نحو باربيها ومبدعها الواحد الذي به وجدت الوحدة في كل موجود وبه دام البقاء السرمد لما دام. وأما الجهة الأخرى من الحركة كلما أمعنت فيها تشبثت بها وتكثرت، وخرجت بها عن ذاتها، وحفها من الشقاء ما تقتضيه هذه الحال)(الفوز الأصغر، ص 63-64).

## 2- أبو حامد الغزالي: (450-505هـ):

هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد. ولد في الطابران (من مدن طوس بخراسان) عام 450هـ. في عصر انتشرت فيه الفتن الدينية والسياسية، في بداية حياته تتلمذ على عدد من المتصوفين في طوس، وعند بلوغه سن العشرين بدأ الترحل إلى جرجان ثم نيسابور ثم بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر. وأخيراً عاد إلى بلده طوس وأخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء والصوفية حتى وفاته. وقد تنقل بين الصوفية والفلسفة ثم العناية بالسنة، وقيل أنه توفي وصحيح البخاري على صدره. له مؤلفات كثيرة، منها: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، والمنفذ من الضلال، والتبر المسبوك في نصائح الملوك، والقسطاس المستقيم، وكيمياء السعادة، ومنهاج العابدين، توفي بطوس سنة 505هـ.

يعتبر كتاب إحياء علوم الدين أشهر كتب أبو حامد الغزالي، وفيه تصور لكل ما يحتاجه الإنسان في هذه الحياة، في أربعة أرباع هي العبادات والعبادات والمهلكات والمنجيات فيقول:

(ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب: كتاب العلم، وكتاب قواعد العقائد، وكتاب أسرار الطهارة، وكتاب أسرار الصلاة، وكتاب أسرار الزكاة، وكتاب

حق على من أنعم الله عليه بمعرفته ووفقه لتأمل هذه الخلقه والوقوف على ما هي خلقها من لطف التدبير وصواب التقدير بالدلائل القائمة فيها أن لا تقصر في إظهار ما بلغه علمه من ذلك. بل يجهد في نشره وإذاعته وإبراحه على المسامح والأذهان لتقوى دواعي الإيمان وتخييب مكيدة الشيطان في تحليل الوهم، محتسباً الثواب في ذلك واثقاً بعون الله وتأبيده إياه (الجاحظ)

أسرار الصيام، وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة القرآن، وكتاب الأذكار والدعوات، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات.

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب أحكام الكسب، وكتاب الحلال والحرام، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السفر، وكتاب السماع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة.

وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس، وكتاب آفات الشهوتين: شهوة البطن وشهوة الفرج، وكتاب آفات اللسان، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد، وكتاب ذم الدنيا، وكتب ذم المال والبخل، وكتاب ذم الجاه والرياء، وكتاب ذم الكبر والعجب، وكتاب ذم الغرور.

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب التوبة، وكتاب الصبر والشكر، وكتاب الخوف والرجاء، وكتاب الفقر والزهد، وكتاب التوحيد والتوكل، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، وكتاب النية والصدق والإخلاص، وكتاب المراقبة والمحاسبة، وكتاب التفكير، وكتاب ذكر الموت (إحياء علوم الدين، ج1، ص 2-3).

وهذه العناوين شملت كل ما يحتاجه الإنسان ليسيير في هذه الحياة الدنيا على هدى وصلاح ويفوز بالأخرة بالجنة والنعيم، متى ما طبق ما ورد في هذا الكتاب. ويتناول أبو حامد الغزالي القلب والروح والنفس والعقل بشرح وتفصيل طويل، ويمكن الخروج بخلاصته فيما يلي:

(القلب يشير إلى أعماق الأفكار وأبعدها غوراً في طبيعة الإنسان وهو المسئول تجاه الله وهو الذي يخاطب ويحاسب، وتبدو الشهوات غريبة عن هذا القلب، وعلاقته بالقلب الجسماني علاقة معنوية لا مادية.

أما الروح فإنها تدل أيضاً على هذه اللطيفة الإلهية، ولها بالجسم تعلق بواسطة الروح الحيواني، وهي المرجع الأعلى للمعرفة والمسئولة عن ومضات الرؤية والكشف، عندما يتحرر الإنسان من كل شعور محسوس.

إن العواص تدرك  
المحسوسات فقط، وأما  
النفس فإنها تدرك  
أساسيات الاتفاقات  
وأسباب الاختلافات  
التي من المحسوسات،  
وهي معقولاتها التي لا  
تستعين عليها بشيء من  
الجسم ولا آثار الجسم  
(ابن مسكوية)

نجد النفس العاقلة حينها  
تدرك شيئاً كثيراً من  
خطأ العواص فهي  
مبادئ أفعالها وترد  
عليها إحكاماً. من  
ذلك أن البصر يخطئ  
في ما يراه من قريب  
ومن بعد ... فإذا  
علمنا بأنها علمت ليس  
بما نؤخذ من علم آخر  
الذات، بل هو من ذاتها  
وجوهرها، أعني العقل  
(ابن مسكوية)

والنفس مرتبطة بالتنفس وبالذات والشهوات الدنيوية وتكون على ثلاثة أحوال: مطمئنة أو لوامة أو أمارة.

أما العقل فإنه يدل على نوع المعرفة وعلى المستوى العقلي لتطور الإنسان) (العثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ص66).

ويرسم أبو حامد الغزالي العقبات التي يمكن أن تعترض الإنسان في عبادته فيقول: (فهذا الترتيب الذي ألهمني مولاي في طريق العبادة. فأعلم الآن بتوفيق الله أن الحاصل من الجملة سبع عقبات الأولى عقبة العلم، الثانية عقبة التوبة، الثالثة عقبة العرائق عقبة العوارض، الخامسة عقبة البواعث، السادسة عقبة القوادح، السابعة عقبة الحمد والشكر) (منهاج العابدين، ص20).

ونختم بتناول أبو حامد الغزالي لسلوك إنساني رفيع وهو العدل والإحسان إلى الخلق حيث يقول:

(وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً، والعدل سبب النجاة فقط، وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال. والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة، وهو يجري من التجارة مجرى الربح، ولا يعد من الغفلاء من قنع من الدنيا برأس ماله، فكذا في معاملات الآخرة، فلا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتتاب الظلم ويدع أبواب الإحسان، وقد قال الله ((وأحسن كما أحسن الله إليك)) وقال عز وجل ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان)) وقال سبحانه ((إن رحمت الله قريب من المحسنين)) ونعني بالإحسان: فعل ما ينتفع به المعامل، وهو غير واجب عليه، ولكنه تفضل منه، فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم) (إحياء علوم الدين، ج2، ص79).

### 3-أبن الجوزي: (510-597هـ):

هو أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، وهو عربي قرشي يتصل نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولد ببغداد سنة 510هـ. نشأ يتيماً حيث توفي والده وعمره ثلاث سنين، حفظ القرآن الكريم صغيراً، وسمع الحديث، وتعلم اللغة والأدب والتاريخ، وتمرن على الوعظ. وقد مكته نبوغه من أن

إنما كما نرى المريض  
من جهة بدنه لا سيما  
أن كان سبب أمراضه  
أحد الجزأين الشريفين،  
أعني الدماغ والقلب،  
بتغيير عقله ويمرض حتى  
ينظر ذهنه وفكره  
وتخيله وسائر قوى نفسه  
الشريفة، ويحس هو من  
نفسه بذلك ( ابن  
مسكوبه)

نرى المريض من جهة  
نفسه إما بالغضب وإما  
بالحزن، وإما بالعشق  
وإما بالشهوات  
المأنيعة، به تتغير  
صورة بدنه حتى  
يضطرب ويرتعد  
ويصفر ويحمر ويهزل  
ويسمن، ويلحقها  
ضروب التغير  
المشاهدة بالهس ( ابن  
مسكوبه)

يتصدى للوعظ وهو لم يصل سنة العشرين سنة 527هـ. وأستمر في التدريس والوعظ والكتابة، حيث بلغت مؤلفاته ما ربو على المائتين، ومنها: ذم الهوى، وصيد الخاطر، والعزلة، والمدهش، والطب الروحاني، والثبات عند الممات، ورسالة إلى ولدي، وتلبس إبليس، والأذكاء، والشفاء في مواظ الملوك والخلفاء، توفي في بغداد سنة 597هـ.

القلب هو أهم ما في الجسد بصلاحه تصلح باقي الأعضاء وبفساده تفسد ، وهو في الأصل سليم على الفطرة ، ولكن يأتيه الخلل والصدأ من الذنوب والمعاصي التي تفسد عليه صفاءه وسلامته فيصبح لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً . ولكن يمكن علاج صدأ القلب . يقول ابن الجوزي:

( اعلم أن القلب في أصل الوضع سليم من كل آفة ، والحواس الخمس توصل إليه الأخبار فترقم في صفحته . فينبغي أن يستوثق من سد الطرق التي يخشى عليه منها الفتن ، فإنه إذا اشتغل بشيء منها أعرض عما خلق له من التعظيم للخالق والفكر في المصالح ، ورب فتنة علق به شبابها ، فكانت سبباً في هلاكه ... عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ع : (( إن المؤمن إذا أُنبت كانت نكته سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تعلق قلبه ، فذلك الران الذي ذكر الله Y في كتابه : (( كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون )) (المطففين : 14) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ... وقال يحيى ابن معاذ : سقم الجسد بالأوجاع ، وسقم القلوب بالذنوب ، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه ، فكذلك القلب لا يجد حلاوة العبادة مع الذنوب ... عن ابن عمر قال : قال رسول الله ع : (( إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد . قيل : يا رسول الله ، فما جلاؤها ؟ قال : تلاوة القرآن )) ... إبراهيم الخواص يقول : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين ) (ذم الهوى، ص56-63) .

يؤكد ابن الجوزي على أن التقوى أهم ركائز حياة المسلم في هذه الدنيا ، فهي حفظ له في الدنيا والآخرة . والتقوى المطلوبة هي التقوى الصحيحة القائمة على الالتزام بما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ع من العقيدة الصحيحة التي

أن للنفس جهتين من  
الحركة: إحداهما نحو  
ذاتها وهي التي  
تتحرك نحو العقل  
الذي هو أول مبدع لله  
تعالى، والذي لا تنقطع  
مادة مبادئه بوجه ولا  
سبب، والأخرى نحو  
الآلات الطبيعية لتكمل  
الأجرام الصيولانية، علم  
أن إحدى الجهتين  
هي التي تسوقها إلى  
سعادتها وبقيتها اللانق  
بها، والأخرى هي التي  
تخطها وتخرجها عن  
ذاتها ( ابن مسكويه )

قوامها التوحيد والأقوال والأعمال التي نقلت عن رسول الله ع بالأسانيد الصحيحة . ونتاج صحة التقوى رؤية الخير في كل الأمور الدينية والدنيوية . قال ابن الجوزي : ( يا بني : ومتى صححت التقوى ، رأيت كل خير ، فالمتقي لا يرئى الخلق ، ولا يتعرض لما يؤذي دينه ، ومن حفظ حدود الله حفظ ) (رسالة إلى ولدي، رسالة في الحث على طلب العلم، ص35).

كما يبين ابن الجوزي لابنه أن من أكثر الكنوز قيمة طاعة الله والابتعاد عن معصيته وحدوده والحذر من هوى النفس الأمارة بالسوء ، ففي ذلك السعادة ) واعلم يا بني أن أوفى الذخائر : غض طرف عن محرم ، وإمسك فضول كلمه ، ومراعاة حد ، وإيثار الله تعالى على هوى النفس (رسالة إلى ولدي، رسالة في الحث على طلب العلم، ص36-37) .

ويؤكد ابن الجوزي أن السعادة بمخالفة الهوى وترك الدنيا فيقول:

( وما سعد من سعد إلا بمخالفة هواه ، ولا شقي من شقي إلا بإيثار

دنياه ) (رسالة إلى ولدي، رسالة في الحث على طلب العلم، ص21).

كما ينقل ابن الجوزي أثراً عن ذا النون يبين فيه خمس خصال إذا توفرت في المسلم كان من أهل السعادة في هذه الحياة الدنيا ، وإن كان توفر هذا الخصال قبل ساعات معدودة من موته .

( أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي ... سمعت ذا النون يقول : من وجدت فيه خمس خصال رجيت له السعادة ولو قبل موته بساعتين ، قيل : ما هي ؟ قال : استواء الخلق ، وخفة الروح ، وغزارة العقل ، وصفاء التوحيد ، وطيب المولد ) (الأذكياء، ص14).

ويشير ابن الجوزي إلى علامات العقل عند الإنسان ، وعند تفحص هذه العلامات نجد أنها مما يترين به المسلم النقي الصحيح في نفسه .

( يستدل على عقل العاقل بسكوته وسكونه وخفض بصره وحركاته في أماكنها اللائقة بها ومراقبته للعواقب فلا تستغزه شهوة عاجلة عقباها ضرر ، وتراه ينظر في القضاء فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة من مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل ، ويتزك ما يخاف ضرره ويستعد لما يجوز وقوعه ) (الأذكياء، ص14)

القلوب يشير إلى أعمق الأفكار وأبعدها محوراً فهي طبيعة الإنسان وهو المسئول تجاه الله وهو الذي يخطبه ويحاسبه، وتبدو الشهوات مخربة عن هذا القلب، وعلاقته بالقلوب الجسماني علاقة معنوية لا مادية ( الغزالي )

أما الروح فإنها تحل أيضاً على هذه اللطيفة الإلهية، ولما بالجسم تعلق بواسطة الروح الحيواني، وهي المرجع الأعلى للمعرفة والمسئولة عن ومضات الرؤية والمشاهدة، نحن ما يتعبر الإنسان من كل شعور محسوس (الغزالي)

كما يدعو ابن الجوزي إلى التمسك بالتقوى وأنها أصل السلامة والسعادة في الدنيا والآخرة:

( اعلم أن الزمان لا يثبت على حال كما قال Y : ((وتلك الأيام نداولها بين الناس)) ، فتارة فقر وتارة غنى ، وتارة عز وتارة ذل ، وتارة يفرح الموالي وتارة يشمت الأعداء ، فالسعيد من لازم أصلاً واحداً على كل حال ، وهو تقوى الله Y فإنه إن استغنى زانته ، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر ، وإن عوفي تمت النعمة عليه ، وإن ابتلي حملته ، ولا يضره أن نزل به الزمان أو صعد ، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه ، لأن جميع تلك تزول وتتغير ، والتقوى أصل السلامة حارس لا ينام ، يأخذ باليد عند العثرة ، ويواقف على الحدود ، والمنكر من غرته لذة حصلت مع عدم التقوى فإنها ستحول وتخليه خاسراً ، ولازم التقوى في كل حال فإنك لا ترى في الضيق إلا السعة ، وفي المرض إلا العافية ، هذا نقدها العاجل والأجل معلوم)(صيد الخاطر، ص123).

ولا شك أن اتباع هدى الله ورسوله محمد ع هو السعادة الحقيقية فلا يصيب المسلم شقاء ولا تعاسة بل سعادة وصحة ونعمة ، ومدار ذلك التقوى . وهذا ما يؤكد ابن الجوزي في النص التالي : ( تأملت قوله تعالى : (( فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى )) قال المفسرون : هداي رسول الله ع وكتابي . فوجدته على الحقيقة أن كل من تبع القرآن والسنة وعمل بما فيها ، فقد سلم من الضلال بلا شك . وارتفع في حقه شقاء الآخرة بلا شك ، إذا مات على ذلك . وكذلك شقاء الدنيا فلا يشقى أصلاً . ويبين هذا قوله تعالى : {ومن يتق الله يجعل له مخرجاً} . فإن رأيته في شدة فله من اليقين بالجزاء ما يصير الصاب عنده عسلاً ، والأغلب طيب العيش في كل حال ، والغالب أنه لا ينزل به شدة إلا إذا انحرف عن جادة التقوى . فأما الملازم لطريق التقوى فلا آفة تطرقه ، ولا بلية تنزل به ، هذا هو الأغلب)(صيد الخاطر، ص123).

### تعليل:

مما أفتنشنا من مقتطفات من كلام علماء الطبقة الثانية يتبين أنهم تناولوا الإنسان والنفس الإنسانية بطريقة مقاربة تتم عن معرفة بهذه النفس قائمة على أصول الكتاب والسنة، مع تأثر ابن مسكويه بكلام الفلاسفة بدرجة بسيطة.

النفس مرتبطة بالتنفس وبالذات والشهوات الذنبوية وتكون على ثلاثة أحوال: مطمئنة أو لوامة أو أهارة (الغزالي)

أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً، والعدل سبب النجاة فقط، وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال. والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة، وهو يجري من التجارة مجرى الربح، ولا يعد من الغفلاء من قنع من الدنيا برأس ماله (الغزالي)



ويحسب لهم الدخول في تفاصيل تسعى للتعرف على مكونات هذه النفس وأقسامها أو حالاتها: مطمئنة أو لوامة أو إمارة بالسوء، والوضوح في هذا الطرح من خلال نصوص القرآن الكريم التي يتضح منها أنها نفس واحدة تكون مطمئنة كلما اقتربت كثيراً من ربها بحسن طاعته وتقواه، وتكون لوامة كلما كانت مراوحة بين الطاعة والمعصية، وتكون إمارة بالسوء إذا كانت منغمسة بالمعاصي والذنوب غافلة عن التوبة والأوبة إلى ربها. وكذلك وضح التأكيد على ابعاد الأخروي وأثره على الإنسان والنفس الإنسانية، وهذه ميزة لا نجد لها لدى الباحثين الغربيين عندما يتناولون الإنسان.

### ثالثاً: الطبقة الثالثة (601-900):

#### 1- هجر الدين الرازي (543-606هـ):

هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي، الملقب بفخر الدين، وينسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولد بالرى سنة 543هـ. تلقى العلم عن أبيه وكان خطيب الرى، وبعد وفاة أبيه تنقل بين العلماء يتلقى منهم مثل الكمال السمعاني ومجدالدين الجيلي. وكان فترة على مذهب الجبائي لكنه رجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة. وكان عالماً بالفقه وعلوم اللغة والمنطق والمذهب الكلامية والطب والحكمة. وكان ينظم الشعر بالعربية والفارسية. وكان صاحب مواظب بليغة مؤثرة، كما حصل على ثروة مالية في حياته جعلته يظهر بصورة الأثرياء. له مؤلفات كثيرة منها: يسألونك عن الروح، والنفس والروح، الأربعة في أصول الدين، وسراج القلوب، وزبدة الأفكار وعمدة النظار، مسائل الطب، رسالة في النبوات. توفي سنة 606هـ.

يناقش فخرالدين الرازي عمل عقل الإنسان وأنه لا يقبل إلا ما يعقله فيقول:

(العدم المطلق لا يصح أن بعقل ويعلم. وإنما يعقل العدم بناءً على فهم الوجود، محققاً أو مفروضاً، مضافاً إليه الانتفاء. فإن أخذ الانتفاء والعدم مطلقاً غير مخصص بجنس؛ فإنما يعقل مضافاً إلى مطلق الوجود ومرتباً عليه. فأول ما يحصل في نفس الإنسان ويدخل في ذهنه ويتصوره: هو الوجود، ثم انتفاء ذلك

العلم أن القلب هي  
أصل الوضع سليم من  
كل آفة، والمعواس  
الخمس توصل إليه  
الأخبار فتدغم هي  
صفحته. فينبغي أن  
يستوثق من سد الطرق  
التي يخشى عليه منها  
الفتن، فإنه إذا اشتغل  
بشيء منها أضر مما  
خلق له من التعظيم  
للخالق والفكر هي  
المصالح، ورب فتنة  
خلق به شبابها، فكانت  
سبباً هي هلاكه (ابن  
الجوزي)

الوجود المتصور أو المحقق: هو العدم. مثل قولنا: وجود ولا وجود))  
الكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل، ص149).

ويقدم فخر الدين الرازي قانوناً عقلياً للإنسان حتى يحكم على الصفات التي وردت لله وتوجد لدى الإنسان فيقول:

(وهو أن القانون الكلي في أمثال هذه الصفات : أن كل صفة تثبت للعبد مما يختص بالأجسام. إذا وصف الله تعالى بذلك ، فهو محمول على نهايات الأغراض ، لا على بدايات الأغراض . مثاله : أن الحياء حالة تحصل للإنسان ، ولها مبدأ ونهاية . أما البداية فيها فهو التغير الجسماني ، الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إلى القبيح . وأما النهاية فهي لأن يترك الإنسان ذلك الفعل ، فإذا ورد الحياء في حق الله تعالى ، فليس المراد منه : ذلك للحق الذي هو مبدأ الحياء وتقدمته. بل المراد : هو ترك الفعل الذي هو منتهاه وغايته . وكذلك الغضب له مبدأ وهو غليان دم القلب وشهوة الانتقام ، وله غاية وهو إيصال العقاب إلى المغضوب عليه . فإذا وصفنا الله تعالى بالغضب ، فليس المراد هو ذلك المبدأ – أعني غليان دم القلب وشهوة الانتقام – بل المراد : تلك النهاية ، وهي إنزال العقاب . فهذا هو القانون)(أساس التقديس، ص127).

ويقدم فخر الدين الرازي إجابة عن حقيقة روح الإنسان فيقول:

(فأجاب الله عنه بأنه موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الأغراض، وذلك لأن هذه الأجسام أشياء تحدث من امتزاج الأخلاط والعناصر. وأما الروح فإنه ليس كذلك، بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث قوله ((كن فيكون)).. فقالوا: لم كان شيئاً مغايراً لهذه الأجسام ولهذه الأغراض؟ فأجاب الله عنه: بأنه موجود يحدث بأمر الله، وتكوينه وتأثيره في إفادة الحياة لهذا الجسد، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه، فإن أكثر حقائق الأشياء وماهياتها مجهولة)) يسألونك عن الروح، ص22).

ويتناول فخر الدين الرازي مكون خلق الإنسان فيقول:

( أما تخليق البشر، فإنه يدل على كمال الجود والرحمة. أما كمال الجود فلأنه لا مناسبة بين التراب، وبين جلال رب الأرباب. ثم أن الحق برحمته التامة وجوده الكامل، جعل التراب صفة الذرة الحاملة للأضواء الإلهية والألوان الصمدية.

قال يحيى ابن معاذ :  
سقم الجسد بالأوجاع ،  
وسقم القلوب بالذنوب  
، فكما لا يجد الجسد  
لذة الطعام عند سقمه ،  
فكذلك القلب لا يجد  
حلاوة العبادة مع  
الذنوب

دواء القلب خمسة  
أشياء : قراءة القرآن  
بالتدبر ، وخلق البطن ،  
وقيام الليل ، والتضرع  
عند السحر ، ومجالسة  
الصالحين

وأما كمال الرحمة، فلأنه مع أنه مركب من الشهوة والغضب والأخلاق الذميمة، أودع قلبه نور العرفان، وعلى لسانه ذكر التوحيد، وجعل عينيه طريقاً لرؤية دلائله، وأذنيه محلاً لسماع كلامه) (النفس والروح، ص34).

ويتحدث فخر الدين الرازي عن مركبات بدن الإنسان فيقول:

(لا شك أن بدن الإنسان مركب وكل مركب فلا بد له من علل أربع وهي: المادة والصورة والفاعل والغاية. فالمادة القريبة لبدن الإنسان هو العضو، والروح، وأبعد منها الأخلاط الأربعة وأبعد منها الأركان. وأما الصورة الحاصلة للبدن الإنساني فهي الأمزجة والقوى. وأما الغاية فهي الأفعال المطلوبة من تلك القوى. وأما الفاعل فالمراد منه ههنا الأمر الذي متى ما كان على القدر المعتدل كان الحاصل هو الصحة، ومتى كان خارجاً عن الاعتدال كان الحاصل هو المرض، وهو المسمى عند الأطباء بالأسباب الستة الطبيعية وهي: جنس الهواء وجنس المتناولات وجنس النوم واليقظة وجنس الحركة والسكون وجنس الاستفراغ والاحتقان وجنس الأعراض النفسانية) (الفراسة، ص98\_99).

ويتناول فخر الدين الرازي الأمزجة وارتباطها بالأعضاء عند الإنسان وتقسيماتها وما ينتج عنها فيقول:

(أعلم أن كل عضو من أعضاء البدن إما أن يكون حاراً أو يكون بارداً؛ فإن كان حاراً فإما أن تكون تلك الحارة معتدلة أو زائدة. فإن كانت الحرارة معتدلة أفادت الكمال وإن كانت زائدة أفادت الاختلال بحسب التشوش.

وأما إن كان بارداً فإن كان البرد قليلاً فإنه يوجب النقصان وإن كان كثيراً يوجب البطلان ...

أما الأفعال النفسانية فكلما كانت القوى أكمل فيه وأتم كانت أفضل ... إن الكمال في جميع القوى الباطنة كالمتعذر، وذلك لأن الرطوبة معينة على سهولة الفكر ومانعة من قوة الحفظ، واليبوسة بالضد وأيضاً الرطوبة مانعة من صفاء الحواس، فكيف يمكن حصول الكمال في كل هذه الأحوال. بل إن قلنا إن النفس في هذه الأفعال قد تكون غنية عن الآلات الجسمانية فحينئذ يستقيم هذا الكلام) (الفراسة، ص121\_127).

التقوى أهم ركائز  
حياة المسلم في هذه  
الدنيا، فهي حفظ له  
في الدنيا والآخرة )  
ابن الجوزي

يستدل على عقل العاقل  
بسكوته وسكوته  
وخفض بصره وحركاته  
هي أمانتها اللائقة بما  
ومراقبته للعواقب فلا  
تستهزه شهوة عاجلة  
محبها ضرر، وتراه  
ينظر في القضاء فيتخير  
الأعلى والأحمد لحاقبة  
من مطعم ومشرب  
وملبس وقول وفعل،  
ويتترك ما يخافه ضرره  
ويستعد لما يجوز  
وقوعه (ابن الجوزي)

## 2- أبو ن تيمية: ( 660- 728هـ )

هو تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس بن تيمية . ولد في مدينة حران عام 661هـ . ينحدر من عائلة علم . غادر ابن تيمية مع والديه وأخوته مدينة حران عام 667هـ هرباً من الهجمات المغولية ، واستقرت الأسرة في مدينة دمشق ، حيث تسلم والده مشيخة المدرسة السكرية ، وفيها بدأ الطفل ابن تيمية دراسته واشتهر بقوة حفظه وذكائه . فقد حفظ القرآن الكريم والحديث وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل عدة مرات ، ثم أخذ يتنقل بين مختلف شيوخ الحديث حتى روى أنه جلس إلى حوالي مائتين من حفاظ الحديث . بدأ ابن تيمية عمله في التدريس عام 683هـ بدار الحديث السكرية بدمشق نيابة عن والده وهو في سن 22 سنة . كما تسلم ابن تيمية منصب التدريس في أكبر مدرسة حنبلية في القاهرة لثلاث سنوات خلال الأعوام 709 - 712هـ ثم عاد إلى دمشق ليعمل في التدريس بقیة حياته فيها . وقد تميز ابن تيمية بصدور أفكاره وثقافته عن مؤهلات متميزة تجاوز بها حدود الانتماء المذهبي إلى دائرة الانتماء الإسلامي الواسع الذي يضم في دائرته الأئمة والمدارس الفكرية ، وارتقى إلى مرتبة الاجتهاد والاعتماد المباشر على القرآن الكريم والسنة النبوية وأثار السلف الصالح . وقد لقي في سبيل دعوته الإصلاحية المشاق والعذاب حيث أدخل السجن ست مرات على فترات متقطعة بلغ مجموعها ست سنوات في الفترة الواقعة بين عامي 693 - 728هـ . وآخر مرة سجن فيها كان في 16 شعبان عام 726هـ وذلك بسبب مهاجمة ابن تيمية في فترة سابقة (710هـ) زيارة أضرحة الأنبياء والأولياء . وقد توفي رحمه الله في سجنه في 20 شوال عام 728هـ رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته .

يبين أبو ن تيمية أن الإيمان للإنسان يقبه ويزيل عن الشبهات والشهوات فيقول :  
( وكذلك ما في القلب من الإيمان وعبادة الله Y [ يحفظ ] بأشباهه بما يقوي الإيمان والعبادة ، وإذا حصل في القلب مرض من الشبهات والشهوات أزيل ذلك بضده ، ولا يحصل المرض إلا لنقص أسباب الصحة ، كذلك القلب لا يمرض بالشهوات والشبهات إلا لنقص إيمانه ) (تركيب النفس ، ص 53) .

ويتناول السعادة للإنسان وللنفس الإنسانية فيقول :

أما كمال الجود فلأنه لا  
مناسبة بين التراب،  
وبين جلال رب  
الأرباب. ثم أن الحق  
برحمته التامة وجوده  
الكامل، جعل التراب  
صفة الحرة الحاملة  
للأضواء الإلهية  
والأنوار الصمدية )  
(الرازي)

( والله I قد تفضل على بني آدم بأمرين هما أصل السعادة ، أحدهما : أن كل مولود يولد على الفطرة ، كما في الصحيحين عن النبي ع أنه قال : (( كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه . كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة : أقرأوا إن شئتم )) فطرة اللّٰه التي فطر الناس عليها )) قال تعالى : (( فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة اللّٰه التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللّٰه ذلك الدين القيم)) ... فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقره لله بالإلهية ، محبة ، تعبدية ، لا تشرك به شيئاً . ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين الأوس والجن بما يوصي بعضهم إلى بعض من الباطل . قال تعالى : (( وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آبؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)) ... والثاني : أن اللّٰه تعالى قد هدى الناس هداية عامة بما جعل فيهم بالفطرة من المعرفة وأسباب العلم ، وبما أنزل إليهم من الكتب ، وأرسل إليهم من الرسل . قال تعالى : (( اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم)) وقال تعالى : (( سبح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى)) وقال تعالى : (( وهديناه النجدين)) .

ففي كل أحد ما يقتضي معرفته بالحق ومحبته له . وقد هداه ربه إلى أنواع من العلم ، ويمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الأولى والآخرة ، وجعل في فطرته محبة لذلك . لكن قد يعرض الإنسان بجاهليته وغفلته عن طلب ما ينفعه . وكونه لا يطلب ذلك ، ولا يريد : أمر عديم ، ولا يضاف إلى اللّٰه تعالى . فلا يضاف إلى اللّٰه : لا عدم علمه بالحق ، ولا عدم إرادته للخير)(الحسنة والسيئة، ص 54-56).

ويتناول ابن تيمية السعادة والشقاوة للنفس الإنسانية فيقول:

( في الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال : (( كنا في جنازة فيها رسول اللّٰه ع فجلس ومعه مخرصة فجعل ينكت بالمخرصة في الأرض ثم رفع رأسه

أما كمال الرحمة، فلأنه  
مع أنه مركب من  
الشموة والغضب  
والأخلاق الذميمة،  
أودع قلبه نور  
العرفان. وعلى لسانه  
ذكر التوحيد، وجعل  
محبيه طريقاً لرؤية  
دلائله، وأذنيه مغللاً  
لسماع كلامه (الرازي)

وقال : ما من نفس منفوسة إلا وقد كتبت مكانها من النار أو الجنة ، إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة . قال : فقال رجل من القوم : يا نبي الله أفلا نمكث على كتابنا ونذع العمل ؟ فمن كان من أهل السعادة ليكون إلى السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة ليكون إلى الشقاوة . قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له . أما أهل السعادة فييسرون للسعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون للشقاوة . ثم قال نبي الله ع : (( فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى )) ... فبين ع أن تقدم العلم والكتاب بالسعيد والشقي لا ينافي أن تكون سعادة هذا بالأعمال الصالحة ، وشقاوة هذا بالأعمال السيئة ؛ فإنه I يعلم الأمور على ما هي عليه ، وكذلك يكتبها ، فهو يعلم أن السعيد يسعد بالأعمال الصالحة ، والشقي يشقى بالأعمال السيئة ، فمن كان سعيداً يبسر للأعمال الصالحة التي تقتضي السعادة ؛ ومن كان شقياً يبسر للأعمال السيئة التي تقتضي الشقاوة ؛ وكلاهما ميسر لما خلق له ، وهو ما يصير إليه من مشيئة الله العامة الكونية التي ذكرها الله I في كتابه في قوله تعالى : ((ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم))) (التحفة العراقية في أعمال القلوب، ص 30-31).

ويعرض ابن تيمية قوى النفس الإنسانية فيقول:

( إن قوى الأفعال في النفس إما جذب وإما دفع ، فالقوة الجاذبة الجالبة للملائم هي الشهوة وجنسها : من المحبة والإرادة ونحو ذلك ، والقوة الدافعة المانعة للمنافي هي الغضب وجنسها : من البغض والكراهة ، وهذه القوة باعتبار القدر المشترك بين الإنسان والبهائم هي مطلق الشهوة والغضب ، وباعتبار ما يختص به الإنسان العقل والإيمان والقوى الروحانية المعترضة ... وباعتبار القوى الثلاث انقسمت الأمم التي هي أفضل الجنس الإنساني ؛ وهم العرب والروم والفرس . فإن هذه الأمم هي التي ظهرت فيها الفضائل الإنسانية ، وهم سكان وسط الأرض طولاً وعرضاً ، فأما من سواهم كالسودان والترك ونحوهم فتبع فغلب على العرب القوة العقلية النطقية ، واشتق اسمها من وضعها فقيل لهم : عرب : من الأعراب ، وهو البيان والإظهار ، وذلك خاصة القوة المنطقية.

بدن الإنسان مركب  
وكل مركب فلا بد له  
من محل أربع وهي:  
المادة والصورة  
والفاعل والغاية  
(الرازي)

النفس بفطرتها إذا  
تركزت كانت مقره لله  
بالإلهية ، محبة ، تعبدية  
، لا تشرك به شيئاً .  
ولكن يفسدها ما يزين  
لها شياطين الأوس  
والجن بما يوصي  
بعضهم إلى بعض من  
الباطل (ابن تيمية)

وغلب على الروم القوة الشهوية من الطعام والنكاح ونحوهما ، واشتق اسمها من ذلك فقيل لهم الروم ، فإنه يقال : رمت هذا أرومه إذا طلبته واشتهيته. وغلب على الفرس القوة الغضبية من الدفع والمنع والاستعلاء والسياسة ، واشتق اسمها من ذلك ، فقيل فرس ، كما يقال فرسه يفرسه إذا قهره وغلبه. ولهذا توجد هذه الصفات الثلاث غالبية على الأمم الثلاث حاضرتها وباديتها ؛ ولهذا كانت العرب أفضل الأمم ، وتليها الفرس لأن القوة الدفعية أرفع ، وتليها الروم (مجموع فتاوى ابن تيمية، المجلد 15، ص 430-432).

ونختم م ن كلام ابن تيمية بأثر الشيطان على الإنسان فيقول:

( والقلوب فيها وسواس النفس ، والشيطان يأمر بالشهوات والشبهات ما يفسد عليه طيب عيشها ، فمن كان محباً لغير الله فهو معذب في الدنيا والآخرة ؛ إن نال مراده عذب به ؛ وإن لم ينله فهو في العذاب والحسرة والحزن (مجموع فتاوى ابن تيمية، المجلد 28، ص 31-32).

ويبين كيفية التخلص من الشيطان فيقول:

( إن إخلاص الدين لله : يمنع من تسلط الشيطان ، ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب . كما قال تعالى : (( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء . إنه من عبادنا المخلصين )) ( يوسف : 24 ) . فإذا أخلص العبد لربه الدين : كان هذا مانعاً له من فعل ضد ذلك ومن إيقاع الشيطان له في ضد ذلك ، وإذا لم يخلص لربه الدين ولم يفعل ما خلق له وفطر عليه . عوقب على ذلك ، وكان من عقابه : تسلط الشيطان عليه ، حتى يزين له فعل السيئات ، وكان إلهامه لفجوره : عقوبة له على كونه لم يتق الله (الحسنة والسيئة، ص 77).

ويبين أثر ذكر الله في علاج الوسواس فيقول:

( والشيطان وسواس خناس ، إذا ذكر العبد ربه خنس ، فإذا غفل عن ذكره وسوس ، فلهذا كان ترك ذكر الله سبباً ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة في القلب ، ومن ذكر الله تعالى : تلاوة كتابه وفهمه ومذاكرة العلم (مجموع فتاوى ابن تيمية، المجلد 4، ص 34).

إن قوى الأفعال هي النفس إما جذب وإما دفع ، فالقوة الجاذبة الجالبة للملذات هي الشهوة وجنسها : من المحبة والإرادة ونحو ذلك ، والقوة الدافعة المارعة للمنافي هي الغضب وجنسها : من البغض والضراة ، وهذه القوة بالمختار القدر المشترك بين الإنسان والبهائم هي مطلق الشهوة والغضب ، وبالمختار ما يختص به الإنسان العقل والإيمان والقوى الروحانية المعترضة (ابن تيمية)

### 3-أبن قيمه الجوزية: ( 691- 751هـ):

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي . ولد بدمشق في السابع من شهر صفر عام 691هـ . تربى في كنف والده الشيخ الصالح أبو بكر بن أيوب الزرعي . وأخذ العلم من كثير من علماء الشام، وخصوصاً شيخ الإسلام ابن تيمية وأخذ عنه التفسير والحديث والفقه والفرائض والأصليين وعلم الكلام ، ولازمه سبعة عشر عاماً تقريباً وهو شيخه المفضل والذي يحيل على كلامه في كثير من كتاباته . وكان حسن الخلق لطيف المعاشرة طيب السريرة عالي الهمة واسع الأفق . وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة مستمراً على الأذكار في ليله ونهاره . وكان كثير العلم واسع الاطلاع . وقد امتحن وأوذي مرات عدة ، وحبس مع شيخ الإسلام في سجن القلعة منفرداً ولم يفرج عنه إلا بعد وفاة ابن تيمية . وقد ألف ابن القيم العديد من الكتب بلغ مجموعها 98 كتاباً ، ومن أهمها : زاد المعاد في هدى خير العباد . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . إغاثة اللهفان من مصادئ الشيطان . بدائع الفوائد . طريق الهجرتين وباب السعادتين . مفتاح دار السعادة ومنشور ألوية العلم والإرادة . الروح . تحفة المودود في أحكام المولود . إعلام الموقعين عن رب العالمين وقد تميزت كتابته باعتمادها على نصوص الوحي ، وبتفهم لمقاصد الشريعة وحكمة الأحكام وأسرارها ، وكذلك حسن الأسلوب وجاذبيته . وقد توفي ابن قيم الجوزية وقت العشاء الآخرة ليلة الخميس في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة 751هـ ودفن بمقبرة الباب الصغير في دمشق رحمه الله رحمة واسعة وغفر له وللمسلمين أجمعين .

تحدث ابن قيم الجوزية عن السعادة التي تؤثرها النفوس فقال:

( أنواع السعادة التي تؤثرها النفوس ثلاثة :

1) سعادة خارجية عن ذات الإنسان بل هي مستعارة له من غيره تزول باسترداد العارية ، وهي سعادة المال والجاه وتوابعها فبينما المرء بها سعيداً ملحوظاً بالعناية مرموقاً بالأبصار ، إذ أصبح في اليوم الواحد أثل من وتد بقاع يشج رأسه بالفهرواجي ؛ فالسعادة والفرح بهذه كفرح الأقرع بجمة ابن عمه ! والجمال بها كجمال المرء بثيابه وزينته ، فإذا جاوز بصرك كسوته فليس وراء عبادان قرية .

تخلج على العرب القوة  
العقلية المنطقية ،  
واشتق اسمها من  
وضعها فقيل لهم :  
عرب : من الأعراب ،  
وهو البيان والإظهار ،  
وذلك خاصة القوة  
المنطقية ( ابن تيمية )



(2) ... السعادة الثانية سعادة في جسمه وبدنه ، كصحته واعتدال مزاجه ، وتناسب أعضائه ، وحسن تركيبه ، وشفاء لونه ، وقوة أعضائه ، فهذه ألصق به من الأولى ، ولكن هي في الحقيقة خارجة عن ذاته وحقيقته فإن الإنسان إنسان بروحه وقلبه لا بجسمه وبدنه ، كما قيل :يا خادم الجسم كي تشقى بخدمته فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

فنسبة هذه إلى روحه وقلبه كنسبة ثيابه ولباسه إلى بدنه ؛ فإن البدن أيضاً عارية للروح وآله لها ومركب من مراكبها فسعادتها بصحته وجماله وحسنه ، سعادة خارجة عن ذاتها وحقيقتها .

(3) السعادة الثالثة : هي السعادة الحقيقية ، وهي سعادة نفسانية روحية قلبية ، وهي سعادة العلم النافع ثمرته فإنها هي الباقية على تقلب الأحوال والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره وفي دوره الثلاثة أعني : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ، وبها يترقى في معارج الفضل ودرجات الكمال . أما : الأولى : فإنها تصحبه في البقعة التي فيها ماله وجاهه . والثانية : فعرضة للزوال والتبدل بنكس الخلق والرد إلى الضعف ؛ فلا سعادة في الحقيقة إلا في هذه . الثالثة : التي كلما طال عليها الأمد ازدادت قوة وعلواً ، وإذا عدم المال والجاه ، فهي مال العبد وجاهه وتظهر قوتها وأثرها بعد مفارقة الروح البدن إذا انقضت السعدتان الأولتان وهذه السعادة لا يعرف قدرها ويبحث على طلبها إلا العلم بها ، فعادت السعادة كلها إلى العلم وما يقتضيه والله يوفق من يشاء لا مانع لما أعطي ولا معطي لما منع)(مفتاح دار السعادة، ج1، ص 156-157).

ويقسم القلوب لدى الناس إلى ثلاثة أقسام فيقول:

(القلوب ثلاثة : قلب خال من الإيمان وجميع الخير ، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوسوس إليه ، لأنه قد اتخذه بيتاً ووطناً ، وتحكم فيه بما يريد ، وتمكن منه غاية التمكن . والقلب الثاني : قلب قد استنار بنور الإيمان ، وأوقد فيه مصباحاً ، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية ، فلشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع ، فالحرب دول وسجال . وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة ، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر ، ومنهم من أوقات

تخلج على الروم القوة  
الشهوية من الطعام  
والنكاح ونحوهما ،  
واشتق اسمها من ذلك  
فقيل لهم الروم ، فإنه  
يقال : رمت هذا  
أرومه إذا طلبته  
واشتميته ( ابن تيمية).

غلبة عدوه له أكثر ، ومنهم من هو تارة تارة . القلب الثالث : قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان ، وانقشعت عنه حجب الشهوات ، وأقلمت عنه تلك الظلمات ، فلنوره في صدره إشراق ، ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به ، فهو كالسمااء التي حرست بالنجوم ، فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق ، وليست السمااء بأعظم حرمة من المؤمن ، وحراسة اللّٰه تعالى له أتم من حراسة السمااء ، والسمااء متعد الملائكة ، ومستقر الوحي ، وفيها أنوار الطاعات ، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان ، وفيه أنوارها ، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو ، فلا ينال منه شيئاً إلاّ خطفه(الوايل الصيب من الكلم الطيب، ص 29-30).

ويعرض أبين قيم الجوزية أنواع أمراض القلوب فيقول:

( ومرض القلوب : نوعان : مرض شبيهة وشك ، ومرض شهوة وغي ، وكلاهما في القرآن . قال تعالى في مرض الشبهة : (( في قلوبهم مرض فزادهم اللّٰه مرضاً )) ( البقرة : 100 ) وقال تعالى : (( وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد اللّٰه بهذا مثلاً )) ( المدثر : 31 ) ، وقال تعالى في حق من دعي إلى تحكيم القرآن و السنة ، فأبى وأعرض : (( وإذا دعوا إلى اللّٰه ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف اللّٰه عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون )) ( النور : 48 - 49 ) ، فهذا مرض الشبهات والشكوك . وأما مرض الشهوات ، فقال تعالى : (( يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض )) ( الأحزاب : 32 ) . فهذا مرض شهوة الزنا( زاد المعاد في هدى خير العباد، ج4، ص5-6).

كما يتناول مفسدات القلب الخمسة فيقول:

( أما مفسدات القلب الخمسة : فهي التي أشار إليها : من كثرة الخلطة والتمني ، والتعلق بغير اللّٰه ، والشبع ، والمانم . فهذه خمسة من أكبر مفسدات القلب(مدارج السالكين، ج1، 451).

ولكن السؤال هو ممن يؤخذ طب القلوب والإجابة نجدها لدى ابن قيم الجوزية حيث يقول

خلج على الفرس القوة  
الغضبية من الدهج  
والمع والاستعلاء  
والسياسة ، واشتق  
اسمها من ذلك ، فقيل  
فرس ، كما يقال فرسه  
يفرسه إذا قهره  
وخلجه (ابن تيمية).

( فأما طب القلوب ، فمسلّم إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ولا سبيل إلى حصوله إلا من جهتهم وعلى أيديهم ، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها ، وفاطرها ، وبأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وأحكامه ، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابه ، متجنبة لمناهيه ومساخطه ، ولا صحة لها ولا حياة البتة إلا بذلك ، ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل ، وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم ، فغلط ممن يظن ذلك ، وإنما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية ، وصحتها وقوتها ، وحياة قلبه وصحته ، وقوته عن ذلك بمعزل ، ومن لم يميز بين هذا وهذا ، فليبك على حياة قلبه ، فإنه من الأموات ، وعلى نوره ، فإنه منغمس في بحار الظلمات)(زاد المعاد في هدى خير العباد، ج4، ص 7-8).

ونختم بحديث ابن قيم الجوزية عن النفس وحالاتها الثلاث وردده على من قال أنها ثلاثة أنفس، فيقول:

( فقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس ، نفس مطمئنة ، ونفس لوامة ، ونفس أمارة ، وأن منهم من تغلب عليه هذه ومنهم من تغلب عليه الأخرى ، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى : (( يا أيُّها النفس المطمئنة )) ويقوله تعالى : (( لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة )) ويقوله تعالى : (( إن النفس لأمرارة بالسوء )) . والتحقيق أنها نفس واحدة ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه ، فإن سمة محبته وخوفه ورجاءه منها قطع النظر عن محبة غيره وخوفه ورجائه ، فيستغني بمحبته عن حب ما سواه وبذكره عن ذكر ما سواه وبالشوق إليه وإلى لقائه عن الشوق إلى ما سواه ، فالطمأنينة إلى الله سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده تجمعه عليه ، وترد قلبه الشارد إليه حتى كأنه جالس بين يديه يسمع به ويبصر به ويتحرك به ويبطش به ، فتسري تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة تجذب روحه إلى الله ، ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه ، ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا بالله وبذكره وهو كلامه الذي أنزله على رسوله كما قال تعالى : (( الذين آمنوا

القلوب فيما وسواس  
النفس ، والشيطان ، يأمر  
بالشهووات والشبهات  
ما يفسد عليه طيبه  
بعيشها ، فمن كان محباً  
لغير الله فهو معذب  
في الدنيا والآخرة ؛  
إن نال مراده محذب  
به ؛ وإن لم ينله فهو  
في العذاب والعسرة  
والعزن ) ( ابن تيمية )..

وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)). وأما النفس اللوامة وهي التي أقسم بها سبحانه في قوله : (( ولا أقسم بالنفس اللوامة )) فاختلف فيها فقالت طائفة هي التي لا تثبت على حال واحدة . أخذوا اللفظة من التلوم وهو التردد فهي كثيرة التقلب والتلون وهي من أعظم آيات الله فإنها مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلاً عن اليوم والشهر والعام والعمر ألواناً كثيرة .... اللوامة نوعان : لوامة ملومة ، وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها الله وملائكته . ولوامة غير ملومة ، وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده فهذه غير ملومة ؛ وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله واحتملت ملام اللاتمين في مرضاته فلا تأخذها فيه لومة لائم فهذه قد تخلصت من لوم الله ، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتمل في الله ملام اللوام . فهي التي يلومها الله Y . وأما النفس الأمارة فهي المذمومة فإنها التي تأمر بكل سوء وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها الله وثبتها وأعانها ، فما تخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق الله له كما قال تعالى حاكياً عن امرأة العزيز : (( وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم )).... فالشر كامن في النفس وهو يوجب سيئات الأعمال فإن خلى الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال ، وإن وفقه وأعانه نجاه من ذلك كله(الروح، ص 220-226).

### تعليل:

يبود من خلال النماذج التي عرضناها لعلماء الطبقة الثالثة اختلاف الطرح بين فخرالدين الرازي وأبن تيمية وأبن قيم الجوزية. فنلاحظ لدى فخرالدين الرازي تأثراً ولو قليلاً بكلام الفلاسفة ونقله لمقولاتهم في كتبه، مما جعل كلامه يركز كثيراً على المنطق والمجادلة العقلية في تناوله للإنسان والنفس الإنسانية، بينما نجد تشابهاً كبيراً بين كتابات أبن تيمية وأبن قيم الجوزية حيث سار التلميذ على طريقة شيخه في الاعتماد ابتداءً على نصوص الكتاب والسنة ثم البناء على ما ورد فيها لتقرير المسائل وإيراد الحجج والرد على الخصوم، كما تميز أبن قيم الجوزية بدخوله في دراسة النفس الإنسانية بشكل متعمق يعكس علماً واسعاً ظهرت في كتاباته فاقت في كثير من نواحيها ما هو مطروح حالياً في كتب علم النفس

الفيضان وسواس خناس  
، إذا ذكر العبد ربه  
خنس ، فإذا حفل عن  
ذكره وسوس ، فهذا  
كان ترك ذكر الله  
سبباً ومبدأ لنزول  
الاعتقاد الباطل  
والإرادة الفاسدة في  
القلب ( ابن تيمية).

رابعاً: الطبقة الرابعة: (901-1200هـ):

### 1-السيوطي: (849-911هـ):

هو عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد الخضيرى الأسيوطي الملقب جلال الدين، ولد في أسيوط سنة 849هـ. تعلم على كثير من العلماء ذكر أنهم نحو مائة وخمسين عالماً. كما درس الكتب على اختلاف أنواعها. وله الكثير من المؤلفات قيل أنها زادت على السبعمئة وطبع منها ما يزيد على المائتين. منها: مفتاح الجنة في الإعتصام بالسنة، وهام الإصابة في الدعوات المستجابة، والشهاب الثاقب في ذم الخليل والمصاحب، ونتيجة الفكر في الجهر بالذكر، وتفسير الجلالين. وتوفي في أسيوط سنة 911هـ.

ينقل السيوطي ست خصال إذا وجدت في إنسان فهو كامل، فيقول:

(قال بعض الحكماء: من كانت فيه ست خصال فهو إنسان كامل، وإن عدم واحدة منهن فقد عدم سدس الإنسانية، وإن عدم الكل فليس بإنسان، وهي الألفة، والحياء، والعقل، والأنفة، والشكر، والرجاء)(الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب، ص41).

كما يذكر السيوطي آداب العشرة فيقول:

(في الأثر عاشروا الناس بأخلاقهم. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من لانت كلمته وجبت محبته، فعلى المعاشر أشياء منها: لين الكلمة وصحة الوفاء، وأن لا يلقي صاحبه إلا بما يحب، ولا يؤذي جليسه، ويبدوّه بالسلام، ويوسع له في المجلس، ويدعوه بأحب أسمائه إليه، ويصبر على جفائه، ويقتصد في عشرته)(الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب، ص43).

ويذكر السيوطي الإنسان باللجوء إلى الله في كل حال لأنه مجيب الدعوات، فيقول:

(فيما يرجع إلى الدعاء، أخرج البخاري في الأدب عن أنس قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعا رجل فقال: يا بديع السموات، يا حي يا قيوم، إني أسألك. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (( أتدرون بما دعا؟ والذي نفسي بيده دع الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب)) ... وأخرج الحاكم عن أنس قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورجل قائم يصلي، فلما ركع

أنواع السعادة التي  
تؤثرها النفوس ثلاثة :  
سعادة خارجية عن  
خاتمة الإنسان بل هي  
مستعارة له من غيره  
تزول باسترحاد  
العارية ، وهي سعادة  
المال والجاه وتوابعها  
(أبن قيم الجوزية)

وسجد تشهد ودع فقال في دعائه: اللهم إني أسالك بأن لك الحمد ل إله إلا أنت، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (( لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى)) (سهام الإصابة في الدعوات المستجابة، ص 87-88).

كما يبين السيوطي أن القرآن الكريم شفاء للقلوب فيقول:

( أنزل الله تعالى القرآن الكريم شفاء للقلوب، وإزالة للريب، وتقريباً للكروب، مع ما تفضل به سبحانه من ثواب تلاوته، وعظيم ذكره تعالى (( قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء)) (فصلت:44). ((ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً)) (الإسراء:82)) (نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، ص 5).

ويبين السيوطي فوائد الذكر للإنسان والنفس الإنسانية فيقول:

(وأفضل الأعمال ذكر الله لقوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد سئل عن أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل، قال: (( أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل)). فالذكر يزيل عتمة القلب، وقسوته، ويطرد الشيطان ويقمعه، ويبعد النفس عن الهم، جالباً لها أقصى السعادة والهناء، إذ الذاكر تحوطه الملائكة، وتغشائه الرحمة، وينظر الله إليه بعنايته وعطفه. وعلى الذكر مدار الإسلام فهو رابطة وثيقة بين العبد ومولاه، لقوله تعالى (( فاذكروني أذكركم)) (البقرة:152) فهذه الرابطة بين الإنسان وربّه تورث المعرفة والمحبة، وتجعل القلب يحلق في ملكوت التوسل والدعاء، في رجوع إلى الله تعالى في كل الأحوال، فالله هو الملجأ والملاذ في السراء والضراء ... ثم إن للذكر نتائج باهرة، والعطايا الكثيرة ... والذكر ينور القلب والعمل، فيبعد الإنسان عن الحزن والحسرة والغم، فتصغر الدنيا في عين الذاكر، وتعظم الآخرة في فؤاده، فيهتدي للصراط، ويتقرب إلى الله تعالى، إذ الذكر صلة المخلوق بالخالق)) (نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، ص 7-8).

ويوسع السيوطي دائرة الذكر لتشمل جميع الأعمال الإنسانية، فيقول:

(والذكر لا ينحصر في التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد، بل يشمل دائرة أوسع تنطبق على معنى العبادة بكل شموليتها واتساع رحابها. قال عطاء رحمة

السعادة الثانية سعادة  
في جسمه ووجدنه ،  
كصحته وامتداح  
مزاجه ، وتناسبه  
أعضائه ، وحسن  
تركيبه ، وشفاء لونه ،  
وقوة أعضائه ، فهذه  
الصق به من الأولى ،  
ولكن هي هي الحقيقة  
خارجة عن ذاته  
وحقيقته فإن الإنسان  
إنسان بروحه وقلبه لا  
بجسمه ووجدنه (أبن فيه  
الجوزية)

الله: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع وتصلي وتوصم وتتكح وتحج وأشياء ذلك ... ومن علامات الذاكر الخوف من الله تعالى، مع السكينة والاطمئنان)) (نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، ص11).

## 2- المغراوي: (920هـ):

هو أحمد بن أبي جمعة المغراوي. الملقب شقرون (أي أشقر اللون إلى جانب أنه أحمر العينين)، تتلمذ على يد الإمام محمد بن يوسف السنوسي، والشيخ العلامة ابن غازي وهما من شيوخ المغرب، كما أخذ من شيوخ تونس. ومؤلفاته قليلة منها: جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، والجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين، والنصيحة إلى الغرباء في الأندلس. توفي سنة 920هـ وقيل سنة 929هـ.

تناول المغراوي أقوال السابقين في أخذ الأجرة على تعليم الأطفال، وحرص على تأييد القائلين به ومما نقله ما يلي:

(باب حكم الإجارة على تعليم القرآن ... قال الجولي: أما حكم الإجارة على التعليم والإثابة عليه فاختلف فيه على ثلاثة أقوال، أجازها مالك، ومنعهما أبوحنيفة، وثالثها تجوز الإثابة دون الإجارة. قلت وعزاه الشوشاوي لبعض العلماء انتهى.

الجزولي: وأما الأصل فيها فلدليل أبي حنيفة قوله تعالى (( قل لا أسألكم عليه أجراً )) وقوله عليه السلام (( بلغوا عني ولو آية من كتاب الله، ولم يقل خذوا عليها أجراً ... وما روي أن عبادة بن الصامت قال: كنت أعلم القرآن رجلاً من أهل الصفة فأعطاني قوساً أجاهد به، فسألت عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال لي: (( أتريد أن يطوقك الله بطوق من النار فاقبله )) ... ودليل مالك قوله عليه السلام: (( خير ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله )) وما روى: أن سعداً بن أبي وقاص كان يعطي الإجارة للمعلم على تعليم بنيه. وما روى أن صفوان بن سليم وعطاء بن أبي رباح كانا يعلمان القرآن بالإجارة، ومضى عليه عمل أهل المدينة ... ودليل جوازها على الإثابة دون الإجارة قوله عليه الصلاة والسلام: (( أفضل ما أكرم عليه الرجل كتاب الله )) (المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، ص72-73).

السعادة الثالثة : هي  
السعادة الحقيقية ،  
وهي سعادة نفسانية  
روحية قلبية ، وهي  
سعادة العلم النافع  
ثمرته فإنها هي الباقية  
على تقلب الأحوال  
والمصاحبة للعبء في  
جميع أسفاره وهي  
دوره الثلاثة المحني :  
دار الدنيا ، ودار  
البرزخ ، ودار القرار  
، وبها يترقى في  
معارج الفضل ودرجات  
الكمال (أبن فيه  
الجوزية).

ويؤكد المغراوي حق كل إنسان في التعليم لا فرق بين ذكراً وأنثى، فيقول:  
 (القابسي: إن ترك الأب تعليم ولده لتقبح شح وقلة عذر، فإن كان للولد مال  
 فلا يدعه دون تعليم وولية أو قاضي بلده أو جماعته إن لم يكن قاض، وإن لم يكن  
 له مال توجه حكم النذب على وليه وأمه والأقرب، وتعليم من أسلم ما يصلي به  
 فرض كفاية، ويتعين على من انفرد به دون عوض،، وتعليم الأنتى ما تصلى به  
 فرض كفاية، ويتعين على من انفرد به دون عوض، وتعليم الأنتى ما تصلى به  
 كالذكر كذلك، ويتعين على الولي، والزائد على ذلك للأنتى حسن)) (المغراوي  
 وفكره التربوي من خلال كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين  
 المعلمين وآباء الصبيان، ص77-78).

ويؤكد المغراوي أهمية القرآن للإنسان المسلم في الدنيا والآخرة، فيقول ما يلي:  
 (قال عليه السلام: (( ما من رجل في جوفه ثلاثمائة آية إلا وجد في قبره  
 روضة من رياض الجنة)) فلعينا أن نقوم بلسان الضراعة والخضوع وقلب التذلل  
 والخشوع: اللهم أوف لنا وعدك وصدق رسولك وأجعله اللهم لنا مرشداً إلى الهدى  
 ومنكباً عن سبيل الردى، وانفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب  
 سليم يا ذا الجلال والإكرام، ومن أدلة فضائله قوله تعالى(( فمن اتبع هداي فلا  
 يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري)) إلى قوله ((أعمى)) ... وقوله (( قل  
 هو للذين آمنوا هدى وشفاء)) (المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه جامع  
 جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، ص104).

القلوب ثلاثة :  
 قلبه خال من  
 الإيمان وجميع الخير ،  
 فذلك قلبه مظلم قد  
 استتراع الشيطان من  
 إلقاء الوسوس إليه ،  
 لأنه قد اتخذ بيتاً  
 ووطناً ، وتحمه فيه بما  
 يريد ، وتمكن منه  
 غاية التمكن (أبن تيم  
 الجوزية)

### 3- أبان حجر الهيتمي ( 909-973هـ):

هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي. ولد في محلة أبي الهيثم (من  
 أقاليم الغربية بمصر) وإليها نسبته. تلقى العلم بالأزهر. وله كتب كثيرة منها: مبلغ  
 الأرب في فضائل العرب، والجواهر المنظم، والصواعق المحرقة على أهل البدع  
 والضلال والزندقة، وتحفة المحتاج شرح المنهاج، وشرح الأربعين النووية،  
 ونصيحة الملوك، وتحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدبو الأطفال،  
 والمنهج القويم في مسائل التعليم، والدرر الزاهرة في كشف بيان الآخرة، وكف



الرعاع عن استماع آلات السماع، وتحذير الثقات من أكل الكفنة والقات. وتوفي سنة 973هـ.

يذكر ابن حجر الهيتمي أن الإنسان المسلم يجمع بين حسن الخلق والعطاء (الصدقة) فيقول:

(ووجه مناسيته في الصدقة أن بحسنه تكون الصدقة على أكمل الأحوال وأفضلها وبشؤمه تنعدم الصدقة أو تكون هباء منثورا بما يقترن بها من المن وغيره من قبائح الأحوال والأقوال وفيه أحاديث منها: قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (مكارم الأخلاق عشرة ذكر منها: صدق الحديث وإعطاء السائل والمكافآت بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتنم للصابب أي حفظ ناماه وهو عهدة وحقه وقرى الضيفورأسهن الحياء) الحكيم الترمذي.

وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) أحمد وأبو داود وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (حسن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد) الديلمي والخرائطي ورواه الطبراني بلفظ: (الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل) (الأناقة فيما جاء في الصدقة والضيافة، ص 12).

ويعرض ابن حجر الهيتمي صفة هامة للإنسان وهي الورع ويبين أقسامها فيقول: (الورع أربعة أقسام: لأنه: إما ورع الشهادة وهو الامتناع مما يسقطها وإما ورع المتدين وهو ترك ما يتطرق إليه احتمال التحريم الذي له موقع وإن أفتى المفتي بحله عملاً بالظاهر ولا أثر لاحتمال البعيد كمن ترك الاصطياد لاحتمال أن الذي يصطاده قد اصطاده غيره وانفلت منه - فهذا وسواس لا ورع وأما ورع المتقين وهو ترك ما يخافانجراره إلى الحرام وإن كان حلالاً لا شبهة فيه.

وأما ورع الصديقين وهو ترك ما ليس فيه شيء مما سبق ولكن تناوله من غير نية التقوى على العبادة ويتطوع إلى أسبابه كراهة فإذا اختلط ببلد حرام غير منحصر بحلال كذلك كان ترك الشراء والأكل من ذلك ورعاً محبوباً. وكما كثر الحرام تأكد الورع والامتناع من كل حلال لكونه فاسق أو كافر حمله وسواس لا ورع) (الأناقة فيما جاء في الصدقة والضيافة، ص 82).

قلج قد استنار بنور  
الإيمان ، وأوقد فيه  
مصباحاً ، لكن عليه  
ظلمة الشهوات  
ومواضع الأهوية ،  
فلشيطان هناك إقبال  
وإدبار ومجالات  
ومطامع ، فالعرب دول  
وسجال (ابن تيمية  
الجوزية).

ويتناول ابن حجر الهيتمي حالة انفعالية يمر بها الإنسان وهي البكاء ويبين أنواعها وكيف يكون الإنسان المسلم معها فيقول:

(وأعلم أن البكاء إما من حزن وإما من وجع، وإما من فزع وإما من فرح، وإما شكراً وإما خشية من الله تعالى، وهذا هو أعلاها درجة وأغلاها ثمناً في الدار الآخرة، وأما البكاء للرياء والكذب فلا يزداد صاحبه إلا طرداً وبعداً ومقتاً، وحق لمن لم يعلم ما جرى له به القلم في سابق علم الله تعالى من سعادة مؤبدة أو شقاوة مخلدة، وهو فيما بين هاتين الحالتين قد ركب المحرمات وخالف خالقه في المنهيات أن يكثر بكاءه وأسفه وحزنه ونحيبه ولهفه، وأن يهجر الفواش ما ظهر منها وما بطن، وأن يجأر إلى الله على ما سلف منه من سوابق مخالفاته وقبائح شهواته، عسى أن يوفقه إلى التوبة النصوح وأن يخرج من ظلمات الجهل والعصيان إلى العلم والطاعة وما لهما من ثمرات المعرفة والفتوح) (الزاجر، ص 20-21).

ويعرض ابن حجر الهيتمي لحاجة إنسانية غريزية وهي إشباع الغريزة الجنسية عن طريق الزواج فيقول:

(عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء). والباءة مؤن النكاح بأن يتوق إليه ويجد مهر المثل وكسوة فصل ونفقة يوم وليلة وقيل الجماع وينافيه قوله ومن لم يستطع إلى آخره إذ العاجز عن الجماع لا يحتاج لصوم والشباب كناية عن التائقين للجماع ولو شيوخاً نظير الترخيص في القبلة مع الصوم للشيخ دون الشباب أي لمن تحرك شهوته ولو شيخاً دون من لم تحركها ولو شاباً فكنى عن الأول بالشباب وعن الثاني بالشيخ نظراً للمظنة فيهما وضمير انه للزوج المفهوم من يتزوج ووجاء أي قاطع للشهوة والقطع في الصوم نظراً لدوامه لا لاابتدائه فإنه يثير الحرارة ويهيجها والأمر بالتزوج للندب إذ لا يجب عندنا مطلقاً إلا بالنذر في الحالة التي يندب فيها وبالصوم لأجل قطع الشهوة أي كسرها يدل على عدم قطعها بالكافور ونحوه فقطعها بذلك قيل حرام وقيل مكروه والصواب ان

القلب الثالث : قلبه  
محشو بالإيمان قد  
استنار بنور الإيمان ،  
وانشعرت عنه حجب  
الشموات ، وأهلت  
عنه تلك الظلمات ،  
فلنوره في صدره  
إشراق ، ولذلك  
الإشراق إيقاد لو دنا  
منه الوسواس احترق  
به (ابن قيم الجوزية).

مرض القلوب : نوعان  
: مرض شهوة وشك ،  
ومرض شهوة ونحي

قطعها من أصلها حرام كالخضاء ولا من أصلها مكروه وعليه يحمل القولان وروى الطبراني في الأوسط والضياء أنه {صلى الله عليه وسلم} قال عليكم بالبائنة أي النكاح عندهما فمن لم يستطع فعله بالصوم فإنه وجاء له (الإفصاح عن أحاديث النكاح، ص1).

### تعلیق:

من خلال النماذج التي أوردها لعلماء الطبقة الرابعة يبدو فيه أن السيوطي وأبن حجر الهيتمي الحرص على نقل نصوص الكتاب والسنة بشكل متتالي وقلة الشرح والطرح من قبلهما كما كان لدى علماء الطبقة الثالثة، ربما أنهما يريان أن ليس من حجة أقوى من الوحي، ولكن قد لا يسلم لهما بذلك لأن العلماء في كل العصور يشرحون النصوص بالتفصيل ويؤكدون ما ورد فيها. وأما السيوطي فقد كان لديه نفس أطول منهما، وتعرض للإنسان والنفس الإنسانية وكيفية التعامل معها وكيف تروض بالذکر، وتعالج بالقرآن وذكر الله، وقد وسع معنى الذکر ليشمل مفهوم العبادة الواسع.

خامساً: الطبقة الخامسة: ( 1201هـ – حتى عصرنا الحاضر):

### 1- التاسمـي: (1283 – 1332هـ):

هو محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، ولد بدمشق سنة 1283هـ. درس على كثير من علماء عصره. وأصبح إمام الشام وهو فقيه أصولي مفسر محدث أديب تقي حليم عفيف نزيه. له العديد من المؤلفات فاقت السبعين منها: دلائل التوحيد، ومحاسن التأويل في التفسير، والإيناس في تصحيح أنكحة الناس، ومذاهب الاعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، وإصلاح المساجد من البدع والعوائد، وجوامع الآداب في أخلاق الانجاب. وتوفي بدمشق ودفن فيها سنة 1332هـ.

يورد القاسمي أن الإنسان مركب من جسد و روح ، فيقول:

(الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر، ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة: إما قبيحة، وإما جميلة. فالنفس المدركة بالبصيرة

أما مفسدات القلب  
الخمسة : فهي التي  
أشار إليها : من كثرة  
الخلطة والتمني ،  
والتعلق بغير الله ،  
والشبع ، والمناج .  
فهذه خمسة من أكبر  
مفسدات القلب (أبن  
قيم الجوزية)

أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله أمرها بإضافتها إليه، إذ قال تعالى (( إني خالق بشراً من طين # فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ))(ص: 71-72). فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح إلى رب العالمين، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد(جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب، ص15).

ويتحدث القاسمي عن حفظ صحة الإنسان فيقول:

(والعقل أكبر مرشد إلى أن من يعتني بجودة طعامه وشرابه، ونظافة جسده ولباسه، ومسكنه وانتقاء الهواء، واجتناب ما ينهك القوى، أقرب إلى الصحة والعافية ممن يهمل ذلك)(جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب، ص93).

يدعو القاسمي إلى تعاهد النفس الإنسانية وحسن تربيتها لتستقيم على الطريق فيقول:

(ومعلوم أن قوى النفس الإنسانية مفترقة دائماً إلى تعدها بالتربية والتنقيف، فلأرض مثلاً لا تخرج ما في أرحامها إلا بالفلاحة، وهي لا تكون إلا بآلات خاصة بها، وأسباب تهيئها، والكتابة لا تكون إلا بأدوات خاصة بها كالقلم وتوابعه. أما هذه الأدوات في التربية فهي عبارة عن: العلم الصحيح، والمعلم الكامل، والأخلاق المهذبة، وحسن الأسوة من الأهل والأقران، وإحكام المراقبة التي يكون بها اجتناب كل ما يخل بالأدب والكمال، مع تعهد مستمر في تقويم الطباع المتأصلة، والعقائد الموروثة، إلى الصحيح السالم)(جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب، ص153-154).

يبين القاسمي أهمية التوحيد للإنسان وأنه لا غنى عنه له في كل الأحوال لصد

كل ما يريد أضلاله من شياطين الأوس والجن فيقول:

(سر علم التوحيد وروحه هو تحقيق الإيمان بالله تعالى، أي جزم القلب بوجوده سبحانه، وما يتبعه من صفاته الجليلة، ونعوته الجميلة، جزماً بالغاً النهاية ومتجاوزاً من الحدود والغاية، بحيث لا يصاحبه ريب ولا يشوبه شك. وإنما يتم ذلك بالوقوف على ما يقوي الفطرة من قواطع الدلائل ومسالح البراهين، والبرهان سلاح الإيمان ينقي به غرة الشيطان. ومن لا عدة له يوشك أن يصرع إذا قامت الهجاء، ويدهش لمباغطة الأعداء)(دلائل التوحيد، ص12).

لابن آدم ثلاثة أنفس ،  
نفس مطمئنة ، ونفس  
لوامة ، ونفس أمارة ،  
وأن منهم من تغلب  
عليه هذه ومنهم من  
تغلب عليه الأخرى ،  
ويحتجون على ذلك  
بقوله تعالى : (( يا  
أيُّهَا النَّفْسُ  
الْمُطْمَئِنِّةُ )) وبقوله  
تعالى : (( لا أقسم بيوه  
القيامة ولا أقسم  
بالنفس اللوامة ))  
ويقوله تعالى : (( إن  
النفس لأمارة بالسوء ))  
(أبن قيم الجوزية)

ويورد القاسمي ما يقال في صرع الجنى للإنسان فيقول:  
( يزعمون أن المجنون إذا صرعه الجنية، وأن المجنونة إذا صرعه الجنى،  
أن ذلك إنما هو عن طريق العشق والهوى وشهوة النكاح ... وأن عين الجان أشد  
من عين الإنسان) (مذاهب الأعراب وفلسفة الإسلام في الجن، ص24).

## 2- السعدي : ( 1307- 1376هـ ):

هو عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي من قبيلة  
بني تميم العلامة الزاهد الورع الفقيه الأصولي المفسر، ولد في مدينة عنيزة سنة  
1307هـ. نشأ نشأة صالحة كريمة، وعرف من حدائته بالصلاح والتقوى. وأقبل  
على العلم بجد ونشاط وهمة وعزيمة فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب قبل أن  
يتجاوز الثانية عشرة من عمره، واشتغل بالعلم على علماء بلده والبلاد المجاورة  
لها ومن يرد إلى بلده من العلماء وانقطع للعلم وجعل كل أوقاته مشغولة في  
تحصيله حفظاً وفهماً ودراسة ومراجعة واستنكاراً، وما أن تقدمت به الدراسة  
شوطاً حتى تفتحت أمامه آفاق العلم فخرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه  
الحنبلي فقط إلى الاطلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد وكتب شيخ الإسلام  
ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الذي فتقت ذهنه ووسعت مداركه فخرج من طور  
التقليد إلى طور الاجتهاد حتى صار لديه جرأة وجسارة على محاولة تطبيق بعض  
النصوص الكريمة على بعض مخترعات هذا العصر وحوادثه، فهذه همته  
وعزيمته في تحصيل العلم. وله مؤلفات عديدة منها: تفسير القرآن الكريم،  
والرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة،  
والمعين على تحصيل آداب العلم وأخلاق المتعلمين، والوسائل المفيدة للحياة  
السعيدة، وبهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار. توفي  
سنة 1376هـ.

يشرح السعدي وسائل الحياة السعيدة في كتاب له نقتطف منها قوله:

(وأعظم الأسباب لذلك وأصلها وأسطها هو الإيمان والعمل الصالح. قال تعالى  
(من عمل صالحاً من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنجيبه حياة طيبة ولنجزينهم

أنها نفس واحدة  
ولكن لها صفات  
فتسمى بالاعتبار كل  
صفة باسم فتسمى  
مطمئنة بالاعتبار  
طماً نبيتها إلى ربها  
بعبوديته ومحبتة  
والإدابة إليه والتوكل  
عليه والرضا به  
والسكون إليه (أبن  
قيم الجوزية)

اللوامة نوحان : لوامة  
ملومة ، وهي النفس  
الجاهلة الظالمة التي  
يلومها الله وملانجته .  
ولوامة خير ملومة ،  
وهي التي لا تزال تلوم  
صاحبها على تقصيره  
في طاعة الله مع  
بذله جسده فهذه خير  
ملومة (أبن قيم  
الجوزية)

أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)(النحل:97). فأخبر تعالى، ووعد من جمع بين الإيمان والعمل الصالح، بالحياة الطيبة في هذه الدار، وبالجزاء الحسن في دار القرار. وسبب ذلك واضح، فإن المؤمنين بالله الإيمان الصحيح، المثمر للعمل الصالح المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة، ومعهم أصول وأسس يتلقون فيها جميع ما يرد عليهم من أسباب السرور والابتهاج، وأسباب القلق والهَم والأحزان)(الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، ص11).

ويشرح السعدي طريقة مقاومة الأوهام التي ترد على نفس الإنسان، وذلك بقوة القلب:

(ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام، ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهوموم والغموم، وزالت عنه كثير من الأسقام البدنية والقلبية، وحصل للقلب من القوة والإنتشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه)(الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، ص24).

يتناول السعدي مصادر العلم الوحي والحس والعقل فيقول:

(أعلم أن الطرق والمسالك التي يتوصل بها إلى العلوم كثيرة الأجناس والأنواع والأفراد، ولكن يجمع متفرقاتها، ويلم أشتاتها ثلاث طرق: إحداهما: طرق الإخبارات الصادقة. والثاني الحس. والثالث طريق العقل. ووجه الحصر في ذلك أن المعلومات إما تدرك بالسمع أو بالبصر أو باللمس أو الذوق، وإما أن تدرك بالعقل، وإما أن تنال بالإخبار ... ثم هذه الأجناس قد توصل إلى العلم الراسخ اليقيني، وقد توصل إلى الترجيح فقط، وبين المرتبتين درجات متفاوتة)(المعين على تحصيل آداب العلم وأخلاق المتعلمين، ص11—12).

ويدعو السعدي الإنسان إلى الجمع بين حسن الخلق وطمأنينة القلب فيقول:

(وبالخلق الحسن وطمأنينة القلب وراحته يتمكن من معرفة العلوم التي سعى لإدراكها، والمعارف التي يفكر في تحصيلها)(المعين على تحصيل آداب العلم وأخلاق المتعلمين، ص63)

ويتناول السعدي ما يحتاجه الإنسان من رياضة البدن والخلق والذهن فيقول:

(وهي ثلاثة أقسام: رياضة الأبدان، ورياضة الأخلاق، ورياضة الأذهان.

أشرفه النفوس من  
لأمت نفسها في طاعة  
الله واحتملت ملام  
اللأميين في مرضاته  
فلا تأخذها فيه لومة  
لأنهم هذه قد تخلصت  
من لوم الله (أبن قيم  
الجوزية)

الشر كامن في النفس  
وهو يوجب سبائت  
الأعمال فإن خلق الله  
بين العبد وبين نفسه  
هلك بين شرها وما  
تقتضيه من سبائت  
الأعمال ، وإن وفقه  
وأعانه نجاه من ذلك  
كله (أبن قيم  
الجوزية)

ووجه الحصر، أن كمال الإنسان المقصود منه: تقوية بدنه لمزاولة الأعمال المتنوعة، وتكميل أخلاقه ليحيا حياة طيبة مع الله، ومع خلقه، وتحصيل العلوم النافعة الصادقة (الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، ص 186).

ونختم بشرح للسعدي لسلك الإنسان العاقل مع الناس فيقول:

(عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (( ومن يستغفب يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر )) متفق عليه. هذا الحديث اشتمل على أربع جمل جامعة مفيدة. إحداها: قوله: (( ومن يستغفب يعفه الله )) والثانية: قوله: (( ومن يستغن يغنه الله )) وهاتان الجملتان متلازمتان، فإن كمال العبد في إخلاصه لله رغبة ورهبة وتعلقاً به دون المخلوقين، فعليه أن يسعى لتحقيق الكمال، ويعمل كل سبب يوصله إلى ذلك، حتى يكون عبداً لله حقاً حراً من رق المخلوقين. وذلك بأن يجاهد نفسه على أمرين: انصرافها عن التعلق بالمخلوقين بالاستغفاف عما في أيديهم. فلا يطلبه بمقالة ولا بلسان حالة ... وتام ذلك: أن يجاهد نفسه على الأمر الثاني: وهو الاستغناء بالله، والثقة بكفايته، فإنه من يتوكل على الله فهو حسبه. وهذا هو المقصود، والأول وسيلة إلى هذا)) (بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، ص 71).

### 3- محمد قطب: (1919م - معاصر):

محمد قطب إبراهيم الشاذلي، ولد ببلدة (موشا) التابعة لمحافظة أسبوط سنة 1919م بصعيد مصر، بعد وفاة الوالد قررت الأم أن تبعث بولديها "سيد" و"محمد" إلى القاهرة ليتلقيا تعليمهما هناك، فانتقل "محمد" مع أشقائه "سيد" و"أمينة" و"حميدة" .. وفي القاهرة بدأ دراسته، فأتم المرحلتين الابتدائية والثانوية، ثم التحق بالجامعة حيث درس الإنجليزية وآدابها في جامعة القاهرة التي تخرج فيها عام 1940م، ثم تابع دراسته بمعهد المعلمين فحصل على دبلومة التربية وعلم النفس. شهدت مرحلة خروج الإخوان من سجون عبد الناصر ما يشبه الهجرة الجماعية

الذكر يزول بمحمة القلب، وقسوته، ويطرد الشيطان ويقمعه، ويبعد النفس عن الصم، جالباً لها أهوى السعادة والصناعة، إذ الذكر تحوطه الملائكة، وتغشاه الرحمه، وينظر الله إليه بعنايته وعطفه (السيوطي)

الذكر بنور القلب والعمل، فيبعد الإنسان عن العز والحسرة والغم، فتصغر الدنيا في عين الخاكر، وتعظم الآخرة في فؤاده، فيمتدني للصراط، ويتقرب إلى الله تعالى، إذ الذكر صلة المخلوق بالخالق (السيوطي)

من مصر، ولم يكن محمد قطب الذي أفرج عنه في أكتوبر 1971 استثناء من هذه القاعدة، وقد أصابه ما أصابه، فسافر في أوائل السبعينيات إلى المملكة العربية السعودية، حيث بقي هناك إلى الآن. عمل مدرساً في كلية الشريعة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، ثم في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، ويرجع الفضل لمحمد قطب -حسبما ذهب مراقبون- في تأسيس مدرسة إسلامية ذات طابع حركي داخل الجامعات السعودية، وقد حاز قطب على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية في عام 1408هـ. وفي إطار نقده للمنتوج الفكري والثقافي الغربي حمل قطب مشعل الدعوة إلى أسلمة العلوم والتعامل معها من خلال القيم والأخلاق الإسلامية. له سلسلة طويلة من الكتب والمؤلفات من أبرزها: "جاهلية القرن العشرين"، و "واقعا المعاصر"، و "كيف نكتب التاريخ الإسلامي"، و "لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهج حياة"، و "العلمانيون والإسلام"، و "شبهات حول الإسلام"، و "حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية". يعيش حالياً في ظرف صحي غير مستقر في أحد مستشفيات مدينة جدة جمع الله له بين الأجر والعافية (نقلًا بتصريف عن موقع الشهاب [www.chihab.net](http://www.chihab.net)).

قدم محمد قطب في كتابه (دراسات في النفس الإنسانية) تصوراً إسلامياً عن النفس الإنسانية استمدته من نصوص الكتاب والسنة، حيث يورد ثمانية خطوط لتلك النفس، ويذكر لكل منهما الخصائص التالية: متجاوران، ومتضادان، ومترابطان غير متراحمين، وغير متعارضين وأن تعارضاً فذلك بسبب حملهما على ذلك، وأن النفس تعمل بمجموعها كله دون انفصال أجزاءها. وهذه الخطوط هي: (الخوف والرجاء: خطان مقابلان من خطوط النفس، يوجدان فيها متجاورين مزدوجي الاتجاه ... يولد الطفل وفيه هذان الاستعدادان متجاورين... الحب والكره: الحب والكره خطان شديداً العمق في النفس الإنسانية، حتى ليبدو لأول وهلة - كما بدأ فرويد - أنهما الخطان الأولان في كيان النفس. ولكننا رأينا في الفقرة السابقة ونحن نندرج مع الطفل منذ مولده، أن خطي الخوف والرجاء سبق ظهوراً، لأنهما ملتصقان بذات الطفل، قبل أن يعرف الحب والكره، اللذين يربطان بينه وبين عالم خارج عن كيان ذاته... الحسية والمعنوية: هذا الخطان .. الطاقة

المورخ أربعة أقسام: لأنه: إما ورع الشهادته وهو الأمتناع مما يسقطها وإما ورع المتديني فهو ترك ما يتطرق إليه احتمال التحريم الذي له موقع وإن أفتى المفتي بحله عملاً بالظاهر ولا أثر للاحتمال البعيد ضمن ترك الاصطباذ لاحتمال أن الذي يصطاده قد اصطاده غيره وانقلبت منه - فمذا وسواس لا ورع وأما ورع المتقين وهو ترك ما يخافه انجراره إلى الجراه وإن كان حلالاً لا شبهة فيه



الحسية والطاقة المعنوية في الإنسان ينبعان بصورة ظاهرو من حقيقة الجسد والروح التي بنينا عليها ازدواج الطبيعة البشرية... ما تركه الحواس وما لا تدركه الحواس: الإيمان بالمحسوس والإيمان بالغيب. خطان آخران من الخطوط المتقابلة في النفس البشرية .. أحدهما يؤمن بما تركه حواسه من سمع وبصر ولمس وشم وذوق ... والآخر يؤمن بما وراء الحس .. مما لا يرى ولا يسمع و لا يلمس ولا يذاق ولا يشم ... وهما خطان يسيران مقاربين لخطي الحسية والمعنوية .. ولكنهما ليسا هما بالضبط، إنما شبيهان .. فهناك تحدثنا عن (طاقات) حسية ومعنوية ... وهنا نتحدث عن (الإيمان) بالمحسوس و(الإيمان) بالغيب... الواقع والخيال: خطان متقابلان في داخل النفس .. قريبان في ظاهرهما من خطي الحسية والمعنوية، وخطي الإيمان بما تدركه الحواس والإيمان بالغيب .. ومع ذلك فكل من هذه الأزواج الثلاثة ذو كيان متميز... الالتزام والتحرر: في الإنسان ميل للالتزام. ميل لأن يلتزم بأشياء معينة وينفذها ... ومع عمق هذا الميل للالتزام في الطبع البشري، فإن فيه إلى جانب ذلك ميلاً للإحساس بأنه غير ملتزم ! وأنه يؤدي الأشياء لأنه هو يريد أن يؤديها لا لأنها مفروضة عليه... السلبية والإيجابية: خطان متقابلان في النفس قريبا الشبه بخطي الالتزام والتحرر .. ولكنهما لا يتطابقان... والأقرب إلى الظن أن تكون السلبية ناشئة من حقيقة الجسد، والإيجابية ناشئة من حقيقة الروح. فقبضة الطين سلبية تخضع للقوانين المادية خضوعاً كاملاً — إلا ما شاء الله — و لا تملك التغيير و لا تفكر فيه. ونفخة الروح إيجابية .. فهي نفخة من روح الخالق المنشئ المدبر المبدع المرید... الفردية والجماعية: هذا الخطان من أخطر الخطوط في حياة البشرية. فعليهما — في صورتها الصحيحة أو المنحرفة — تقوم نظم الحياة كلها، صالحها أو فاسدها، وعلاقات الحياة كلها، سويها أو منحرفها، وسلوك الأفراد والجماعات)(دراسات في النفس الإنسانية، ص 71-150).

ويبين محمد قطب منظور الإسلام للإنسان بصورة متميزة فيقول:

(أهم ما يتميز به الإسلام أنه يأخذ الكائن البشري على ما هو عليه، لا يحاول أن يفسره على ما ليس من طبيعته، كما تصنع النظم المثالية، وإن كان في الوقت

الإنسان مركب من  
جسد مدرك بالبصر،  
ومن روح ونفس  
مدركة بالبصيرة،  
وكل واحد منهما هيئة  
وصورة: إما قبيحة،  
وإما جميلة. فالنفس  
المدركة بالبصيرة  
أعظم قدراً من الجسد  
المدرك بالبصر  
(القاسمي)

سر علم التوحيد وروحه  
هو تحقيق الإيمان بالله  
تعالى، أي جزء القلب  
بوجوده سبحانه، وما  
يتبعه من صفاته  
الجليلة، ونعوته الجميلة،  
جزماً بالغاً النهاية  
ومتجاوزاً من الحدود  
والغاية، بحيث لا  
يصاحبه ريب ولا يشوبه  
شك (القاسمي)

ذاته يعمد إلى تهذيب هذه الطبيعة إلى آخر مدى مستطاع، دون أن يكبت شيئاً من النوازع الفطرية، أو يمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع، وبين المثل العليا التي يرسمها له. الإنسان في نظر الإسلام كائن لا هو بالملك ولا بالحيوان. وإن كان قادراً في بعض حالات الهبوط أن يصبح أسوأ من الحيوان، وفي بعض حالات الارتفاع أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر. ولكنه في حالته الطبيعية شئ بين هذا وذاك. مشتمل على استعداد للخير كما هو مشتمل على استعداد للشر. وليس أي من العنصرين غريباً على طبيعته، ولا مفروضاً عليه من خارج نفسه) (الإنسان بين المادية والإسلام، ص 69).

ونختم بكلام محمد قطب عن فطرة الإنسان حيث يقول:

(مقياس الفطرة الثابت في التطور النفسي هو النمو الدائم نحو النضوج والتكامل والشمول والتوازن. فكل فرد أو جيل يتجه نحو هذا اللون من النمو فهو سليم الفطرة سائر في الطريق الصحيح. وكل فرد أو جيل يثبت على درجة معينة من النمو — متخلفة — أو يتقدم ببعض جوانب نفسه ويتأخر ببعض، أو يفقد توازنه، فهو منحرف الفطرة في حاجة إلى علاج) (التطور والثبات في حياة البشرية، ص 146).

### تعلیق:

يبدو في المختارات التي نقلناها لعلماء الطبقة الخامسة قريباً مما هو مطروح في عصرنا الحاضر. فنجد لدى القاسمي طرح يغلب عليه الجانب الشرعي الذي يحرص على تأكيد جانب العقيدة ودورها المهم في سلوك الإنسان. ونجد لدى الشيخ السعدي وهو المفسر نظرة ثابتة إلى تعهد النفس بالإيمان والعمل الصالح مما يهيئها للسعادة الدنيوية والأخروية، كما يذكر مصادر المعرفة التي يعترف بها الغرب وهي العقل والحواس ويضاف المصدر المغيّب لديهم وهو الوحي لتكتمل مصادر المعرفة لدى الإنسان. وأخيراً نجد لدى محمد قطب طروحات يمكن لكل متخصص نفسي أن يأخذها ويقدمها في أي محفل نفسي معاصر يدور الحوار فيه عن الإنسان والنفس الإنسانية، فيجد فيما كتبه تحليلات عميقة للنفس البشرية مقارنة بما لدى بعض علماء النفس الغربيين، مبنية على أسس متينة من الكتاب والسنة.

يُزعمون أن المجنون  
إذا صرعه الجنّة،  
وأن المجنونة إذا  
صرعها الجنّي، أن  
ذلك إنما هو عن  
طريق العشق والموى  
وشهوة النكاح ... وأن  
عين الجان أشد من  
عين الإنسان  
(القاسمي)

أهم ما يميز به الإسلام  
أنه يأخذ الكائن  
البشري على ما هو عليه،  
لا يحاول أن يفسره على  
ما ليس من طبيعته، كما  
تصنع النظم المثالية،  
وإن كان في الوقت  
ذاته يعمد إلى تهذيب  
هذه الطبيعة إلى آخر  
مدى مستطاع، دون أن  
يكبت شيئاً من النوازع  
الفطرية، أو يمزق الفرد  
بين الضغط الواقع عليه  
من هذه النوازع، وبين  
المثل العليا التي يرسمها  
له (محمد قطب)

## خلاصة

من خلال النماذج التي تم عرضها قد لا نستطيع تقديم صورة كاملة للملاح نظرة علماء التراث النفسي للإنسان والنفس الإنسانية، لأن ذلك يحتاج مساحة أكبر نستطيع من خلالها عرض نماذج أكثر وتفصيلات أوسع تعكس الصورة بشكل قريب من ما قدموها في طروحاتهم، ولكن نظراً لمحدودية الصفحات المتاحة لهذا الورقة البحثية، ولضيق الوقت، نرجو أن نكون وفقنا في اختيار النماذج التي تعطي لمحات عن تصور هؤلاء العلماء للإنسان والنفس الإنسان، وربما أمكننا أن نلخص ملاح التصور هذا التصور في النقاط التالية:

(5) أن الإنسان مخلوق من عنصرين هما المادة (التراب) والروح. وهما يحتاجان إلى ما يشبعهما، فالمادة تحتاج لحاجات الجسدية من غذاء وجنس وراحة وما يدخل فيها، وكذلك الروح تحتاج إلى إشباع عن طريق ما يأتي به الدين من عبادات وأخلاق.

(6) أن مصادر المعرفة للإنسان تبدأ بالحواس ثم العقل ثم الوحي، ويكون الوحي هو المعيار لما يقبل ويرفض من المصدرين السابقين.

(7) إن النفس الإنسان لديه الاستعداد للخير والشر، ولكنها مفطورة على فطرة الخير المركوزة في الجبيلية الإنسانية، ما لم يأتي ما يحرفها عن فطرتها من عوامل خارجية كالوالدين والشيطان ورفاق السوء.

(8) أن الأمراض النفسية لا تتوقف على ما يدرس حالياً في علم النفس بل يدخل فيها ما يعرف بأمراض الباطن أو أمراض القلوب والتي ورد لدى علماء المسلمين تناول لها في الوقاية والعلاج مما لا يتوفر لدى الباحثين الغربيين.

(9) العديد من علماء المسلمين يستفيدون مما يورده غير المسلمين فيما يتعلق بالإنسان والنفس الإنسان وقوى النفس، ثم يضيفون ما يقدمه لهم الوحي مما معارف توسع آفاق تناولهم لتلك الموضوعات وتنقلها إلى فضاءات أرحب وأكثر قرباً من واقع الإنسان والنفس الإنسانية.

هذا ما تيسر كتابته، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يزم الدين.

(ورقة بحثية سبق تقديمها إلى حلقة النقاش العلمي الثالثة للجنة التأصيل الإسلامي للعلوم بالندوة العالمي للشباب الإسلامي الدمام 15\_16/6/1432 هـ الموافق 18\_19/5/2011م)

الإنسان في نظر الإسلام  
كان لا هو بالملاك ولا  
بالحيوان. وإن كان  
قادرأ في بعض حالاته  
الصيوط أن يصعب أسوأ  
من الحيوان. وفي  
بعض حالاته الارتفاع  
أن يسمو بروحه إلى  
مستوى الملائكة من  
الطمر (محمد قطب)

مقياس الفطرة الثابتة  
في التطور النفسي هو  
النمو الدائم نحو  
النضوج والتكامل  
والشمول والتوازن.  
فكل فرد أو جيل يتجه  
نحو هذا اللون من  
النمو فهو سليم الفطرة  
سائر في الطريق  
الصحيح (محمد قطب)

كل فرد أو جيل يثبت  
على درجة معينة من  
النمو - متخلقة - أو  
يتقدم ببعض جوانبه  
نفسه ويتأخر ببعض، أو  
يفقد توازنه، فهو  
منحرف الفطرة في حاجة  
إلى علاج (محمد قطب)

## المراجع

- أبن المقفع، عبدالله، الأدب الصغير والأدب الكبير، شرح ودراسة مفيد قميحة، الرياض: دار الشواف، 1410هـ.
- ابن المقفع، عبدالله، اليتيمة، القاهرة: المكتبة الحمودية، (ب، ت).
- الحاسبي، الحارث بن أسد، معاتبة النفس، تحقيق محمد عبدالقادر عطاء، القاهرة: دار الاعتصام، ب.ت.
- الحاسبي، الحارث بن أسد، آداب النفوس، تحقيق عبدالقادر عطاء، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1408هـ.
- الحاسبي، الحارث بن أسد، المسائل في أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل، تحقيق عبدالقادر أحمد عطار، القاهرة: عالم الكتب، ب.ت.
- الحاسبي، الحارث بن أسد، الرعاية لحقوق الله، تحقيق عبدالرحمن عبدالحميد البر، المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع، 1420هـ.
- الجاحظ، عمرو بن بجر، تهذيب الحيوان، تحقيق وتهذيب: عبدالسلام هارون، جزاءن، القاهرة: مكتبة النهضة، ب.ت.
- الجاحظ، عمرو بن بجر، تهذيب البخلاء، تحقيق طه الجاجري، 5ط، القاهرة: دار المعارف، ب.ت.
- الجاحظ، عمرو بن بجر، الحاسن والأضداد. [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com) في 2011/4/15م.
- الجاحظ، عمرو بن بجر، الآمل والمأمول. [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com) في 2011/4/15م.
- الجاحظ، عمرو بن بجر، الحنين إلى الأوطان، 2ط، بيروت: دار الرائد العربي، 1402هـ.
- الجاحظ، عمرو بن بجر، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، بيروت: دار الندوة الإسلامية، ب.ت.
- أبن مسكوية، أحمد بن محمد، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، 2ط، بيروت: دار مكتبة الحياة، ب.ت.
- أبن مسكوية، أحمد بن محمد، السعادة، القاهرة: المدرسة الصناعية الإسلامية، 1335هـ.
- أبن مسكوية، أحمد بن محمد، الفوز الأصغر، بيروت: دار مكتبة الحياة، ب.ت.

الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، خمسة أجزاء، بيروت: دار المعرفة، ب.ت.  
الغزالي، أبو حامد محمد، منهاج العابدين، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا، القاهرة: مكتبة الجندي، 1392هـ.

العثمان، عبدالكريم، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ط2، القاهرة: دار غريب للطباعة، 1401هـ.

أبن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، ذم الهوى، تحقيق أحمد عبدالسلام عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ.

أبن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، رسالة إلى ولدي: رسالة في الخث على طلب العلم، تحقيق عمرو عبدالمنعم، القاهرة: دار السلام، 1412هـ.

أبن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، الأذكىء، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ب.ت.

أبن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، صيد الخاطر، تحقيق ناجي الطنطاوي، دمشق: دار الفكر، ط4، 1407هـ.

الرازي، فخر الدين محمد، الكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل، تحقيق أحمد حجازي السقا، بيروت: دار الجيل، 1413هـ.

الرازي، فخر الدين محمد، أساس التقديس، تحقيق أحمد حجازي السقا، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ب.ت.

الرازي، فخر الدين محمد، يسألونك عن الروح من تفسيره مفاتيح الغيب، تحقيق محمد عبدالعزيز الهلاوي، القاهرة: مكتبة القرآن، ب.ت.

الرازي، فخر الدين محمد، النفس والروح، تحقيق سليمان سليم البواب، دمشق: دار الحكمة للطباعة والنشر، 1407هـ.

الرازي، فخر الدين محمد، الفراسة، أبن تيمية، أحمد، تزكية النفس، تحقيق محمد سعيد القحطاني، ط2، القاهرة: مكتبة السنة، 1416هـ.

أبن تيمية، أحمد، الحسنة والسيئة، تقديم محمد جميل غازي، جدة: دار المدني، 1406هـ.

- أبن تيمية، أحمد، التحفة العراقية في أعمال القلوب، تحقيق سليمان مسلم الحرشي، الرياض: دار الهدى للنشر والتوزيع، 1407هـ.
- أبن تيمية، أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، 37 مجلد، ب.ت.
- أبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشورة ولاية العلم والإرادة، جزاءن، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1418هـ.
- أبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب من الكلم الطيب، دمشق: دار البيان، ب.ت.
- أبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدى خير العباد، حمسة أجزاء، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، ط7، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ.
- أبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ثلاثة أجزاء، بيروت: دار الكتاب العربي، 1410هـ.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، الشاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب، تحقيق أحمد عبدالفتاح تمام، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ب.ت.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، سهام الإصابة في الدعوات المستجابة، تحقيق عادل أبو المعاطي، القاهرة: دار البشير، ب.ت.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، تحقيق يوسف بديوي وعلى الكرري، بيروت: دار مكتبة التريبة، 1410هـ.
- أبن حجر الهيتمي، الأناقة فيما جاء في الصدقة والضيافة، مكتبة مشكاة الإسلام.
- أبن حجر الهيتمي، الزاجر، مكتبة مشكاة الإسلام الالكترونية. في 2011/4/27م.
- أبن حجر الهيتمي، الإفصاح عن أحاديث النكاح، ، مكتبة مشكاة الإسلام الالكترونية. في 2011/4/27م.
- المغراوي ، أحمد، المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، تحقيق عبدالهادي التازي، الرياض: مكتب التريبة العربي لدول الخليج، 1407هـ.

- القاسمي، محمد جمال الدين، جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب، تحقيق حسن السماحي سويدان، دمشق: دار ابن كثير، 1417هـ.
- القاسمي، محمد جمال الدين، دلائل التوحيد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ.
- القاسمي، محمد جمال الدين، مذاهب الأعراب وفلسفة الإسلام في الجن، دمشق: مطبعة المقتبس، 1328هـ.
- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، الجيزة: مكتبة التوعية الإسلامية، 1408هـ.
- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، رياض الناظرة والحدايق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، الرياض: المؤسسة السعيدية، ب.ت.
- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1419هـ.
- قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية، ط5، بيروت: دار الشروق، 1401هـ.
- قطب، محمد، الإنسان بين المادية والإسلام، ط9، بيروت: دار الشروق، 1408هـ.
- قطب، محمد، التطور والثبات في حياة البشرية، ط7، بيروت: دار الشروق، 1408هـ.

أ.د. صالح إبراهيم الصبيح

- تاريخ الميلاد: 1959/1/11 م
- الاختصاص: علم النفس
- الاهتمامات العلمية:

موضوعات التأصيل الإسلامي لعلم النفس، علم النفس الجنائي وتطبيقاته، علم النفس التربوي وتطبيقاته، مشكلات الشباب في عصرنا الحاضر.



#### ▪ الممارسات المهنية:

التدريس في المستويين الجامعي والدراسات العليا. الإشراف العلمي على طلاب وطالبات الدراسات العليا في إعداد الرسائل العلمية. الإشراف الميداني في المقررات الميدانية التطبيقية في المستويين الجامعي والدراسات العليا. التحكيم العلمي للبحوث المقدمة للدرجات العلمية إلى المؤسسات العلمية السعودية. التحكيم العلمي للترقيات لأعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية والعربية. الاستشارات النفسية لعدد من المواقع النفسية على الانترنت، وكذلك في وسائل الإعلام المختلفة الورقية والأذاعية والفئوية. المشاركة في المؤسسات المهنية النفسية داخل المملكة وخارجها.

#### ▪ المؤلفات :

التدين علاج الجريمة ، المجلس العلمي ، جامعة الإمام ، 1414هـ .  
التدين علاج الجريمة الطبعة الثانية ، مكتبة الرشد ، الرياض ، 1419 هـ .  
دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، عالم الكتب ، الرياض ، 1416هـ .  
دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، عالم الكتب ، الرياض ، 2 ، 1420هـ .  
التدين والصحة النفسية ، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام ، 1421هـ .  
التدين والصحة النفسية ، الطبعة الثانية (صدر بعنوان الصحة النفسية من منظور إسلامي، الرياض: دار الفضيحة، 1426هـ .  
التفكك الأسري، الأسباب.. والحلول المقترحة، (مؤلف مشترك) كتاب الأمة، العدد83، السنة الحادية والعشرون، جمادى الأولى 1422هـ .  
دراسات في علم النفس من منظور إسلامي، الرياض، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى 1423هـ .  
المدخل إلى التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، الرياض: مكتبة الرشد، 1428هـ .  
المدخل إلى التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، الرياض: مكتبة الرشد، ط2، 1434هـ .  
دراسات في علم النفس من منظور تأصيلي، الرياض، دار عالم الكتب، 1432هـ .  
علم نفس الإرهاب، الرياض: مكتبة الرشد، (تحت الطبع) 1435هـ .

إصدارات: مؤسسة العلوم النفسية العربية

